شرح
فضائل القرآن

للعلامة المجدد
محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي رحمه الله
المتوفى: (١٢٠٦هـ)

شرح ميسر ومختصر من كتب السلف
رضوان الله تعالى عليهم

تأليف
الفقير إلى عفو ربه
أبي سعيد مختار بن سعيد الحضرمي

مكتبة
مختار بن سعيد الحضرمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

مكتبة
مختار بن سعيد الحضرمي

+967 777317651 +968 92986065
https://t.me/abusaeedalhadhramy

المقدِّمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ الله، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهُ.

أَمَّا بَعْدُ: فهذا شَرحٌ مختَصَر على كتاب «فضائل القرآن» للإمام المجدِّد مُحَمَّد بنِ عَبدِالوَهَّابِ بنِ سُلَيمَانَ التَّمِيمِيِّ النَّجدِي رَحِمَهُ اللهُ، مأخوذٌ من كُتُب المتقدِّمين إلَّا النزر اليسير؛ لكونها أعَمَّ وأوضَحَ وأصَحَّ من غيرها، كما قال الإمام ابن مالك رَحِمَهُ اللهُ في «الخلاصة»:

وَقَـدْ تُـزَادُ (كَـانَ) فِي حَشْـوٍ كَ(مَـا   كَـانَ أَصَـحَّ عِلْـمَ مَـنْ تَقَـدَّمَا)

ولم أشرح الأحاديث الضعيفة؛ لكَونِ الشرح يُعَد تصحيحًا لها عند الأكثرين، وعَزَوْتُ الأَحَادِيثَ الخارجة عن «الصَّحِيحَيْنِ» أَوْ أَحَدِهِمَا لِلإِمَامَيْنِ الجَلِيلَيْنِ الْأَلْبَانِيِّ والوَادِعِيِّ رَحِمَهُمَا اللهُ، ومَا لَمْ أَجِدْ عِنْدَهُمَا اكتَفَيتُ بحُكْم شَيخِنَا المُبجَّل أبي عبدالله محمَّد بن عبدالله باجمَّال الحضرمي حَفِظَهُ اللهُ، الحقُّ أنَّ تحقيقاتِه وتصحيحاتِه جميلة جدًّا، كما أَنَّنِي اعْتَنَيْتُ بِضَبطِ المَتْنِ وتَشْكِيلِهِ وتَوْضِيحِ العِبَارَاتِ وَالمُصْطَلَحَاتِ الغَامِضَةِ في الشروحات، وجعلتها بين معقوفين؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ عَوْنًا لِلقارِئِ فِي قراءَتِه وفَهْمِ معَانِيه.

ونصيحتي لإخواني العناية بكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ تعلُّمًا وتعليمًا وقراءةً وتدبُّرًا، والإنسان كل ما كان أكثرَ عناية بالقرآن والعلوم الشرعيَّة كان أكثرَ طاعة لربِّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وليكن ذلك بقدر المستطاع دون تكلُّف، حتى لا يكون طريقه في الطلب سببًا لذهاب صحَّتِه، ولقد رأينا أكثر من أُصِيب بالاكتئاب والحالات النفسيَّة إنَّما كان ذلك مِنْ سِعَة الطموح وقِلَّة الثمرة في الواقع مع صعوبة الظروف، فإنَّ لنفسِكَ

وأهلِك وزَوْرِكَ عليك حقًّا، فلا تتكلَّف بما لا تُطِيق فأنت على خير وطريقِ الجنَّة ما دمتَ في هذا الباب.

كما أنَّنِي أنْصَحُ الأُمَّة الإسلَاميَّة اليَوْم بالصَّبر والنُّصْح لاسيَّما ما يتعلَّق بولاة الأمور وعدم الالتفات إلى الإعلام الزائف المنشغل بنَشْر الرذيلة وإخفاء الفضيلة بحجَّة حُرِّيَّة الرَّأْي، فهذا ليس على إطلاقِه، ولا لِكُلِّ مَن هَبَّ ودَب، فالخلاف شَرٌّ كَمَا قالَهُ ابنُ مَسعُود رضي الله عنه[1]، فالبلدان التي ذهَبَتْ ودُمِّرَت فصارت شذَرَ مَذَر حتَّى انتُهِكَتِ الأعراض وسالت فيها الدِّمَاء كان مَنشَأُ خرابِها من هذا الباب وإطلاقِ أَلسِنَة الرَّعِيَّة على الراعي، فلِحُكَّامِنَا علينا فَضْل، وإن حَصَل شَيءٌ من الزَّلل أو التقصير في بعض أحيانه فهذا من طبيعة البَشَر، فيعالَج، فليس ثَمَّت مَعصُومٌ سِوَى الأنبياء والملائكة، فالمنهج السَّلفِيُّ يَستَدعِي أنَّ الشخص يتَّقي الله في هذا الباب، وألَّا يَطعَنَ في ولَاةِ الأمور، فمَن كان عنده نُصْحٌ نَصَحَ سِرًّا، ومن كان عنده تَوجِيهٌ أو بَيَانُ خطَأٍ حَاصِل بيَّنَ الخَطَأ من غير إثارةِ فِتنَةٍ على المسلمين، هذا هو المطلوب، أمَّا أن يبقى المرء كما قال الله عز وجل: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾[البقرة:١٠] فهذا خطأ ينبغي التنزُّه عنه، فبعضهم وإن طال الزمن يبقى إنسانًا في مستوى الابتدائي، لا يحمل سوى شهادة السب والشتم والاعتداء، فيرى الأمور كلها سِلبيَّة، فمثل هذا -وإن لبس لباس العلم والنزاهة- لا يُبالَى به وإن ادَّعَى ما ادَّعَى.

فلابُدَّ من النظر إلى الجهود الجبَّارة التي تقوم بها الدولة في تحقيق الأمْنِ والأمَان وتوحيد الصف والدِّفاع عن السِّيَادة، مع ما يقومون به من النجدة والإعانة والفَزْعة عند حصول الضرر، وغير ذلك مما لا نُحصِي ذِكرَه في هذا الموطن.

---

(١) **صحيح:** أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط" برقم: (٦٦٣٧)، عَنْ عَبْدِالله بْن سِيدَانَ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه بِعَرَفَةَ، فَصَلَّى عُثْمَانُ الظُّهْرَ أَرْبَعًا، والعَصْرَ أَرْبَعًا، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: (هَاهُنَا صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ومَعَ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ، فَمَا صَلَّوْا إِلَّا رَكْعَتَيْنِ)، قُلْتُ: أَفَلَا تَقُومُ إِلَيْهِ؟ قَالَ: (اسْكُتْ فَإِنَّ الْخِلَافَ شَرٌّ). وصححه الألباني في "الصحيحة" (١/ ٤٤٤).

وعلى الجميع الإقبال على الأمور الخاصَّة وترك أمور العامَّة لأهلها، ومن وجد سعة في الوقت فلينشغل بطلب العلم النافع بشتَّى أنواعه، وما فيه مصلحة البلاد والعباد، فإنَّ أعداءَ الإسلام يتمنَّون سقوط هذه الدُّوَل العربيَّة والإسلاميَّة اليوم قبل غَد.

فاللهَ العليَّ العظيم أسأل التوفيق والسداد، وأن يحفظَ لنا أوطانَنا ووُلَاةَ أمورِنا، ويوفِّقَهم لما فيه صلاح البلاد والعِباد، والحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ.

وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

كَتَبَهُ
الفَقِيرُ إلى عَفْوِ رَبِّهِ
أَبُو سَعِيدٍ مُخْتَارُ بْنُ سَعِيدٍ الحَضْرَمِيُّ

قَالَ شَيخُ الإسْلامِ محمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ النَّجدِي ﵀:

بِسْــــمِ (١) اللهِ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِـــيمِ (٣)

١- بَابُ فَضَائِلِ تِلاوَةِ القُرْآنِ وَتَعَلُّمِهِ وَتَعْلِيمِهِ

وقَولِ اللهِ ﷻ: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾[المجادلة:١١]، وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ [-أي: العِلْم-] وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾[آل عمران:٧٩].

قوله تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية: قال العلَّامة صدِّيق حسن خان ﵀ في كتابه "فتح البيان في مقاصد القرآن" (١٤/ ٢٦): أي: يرفع الَّذين آمنُوا على مَن لم يؤمِنْ درجات، ويرفع الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات، فمن جمع بين الإيمان والعلم رفعه الله بإيمانه درجات ثم رفعه بعلمه درجات. اهـ

وهذا مصداق قوله ﷻ: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾[الزمر:٩].

وقال ابنُ القيِّم ﵀ في كتابه "مفتاح دار السعادة" (١/ ٥٠): وقد أخبر ﷻ في كِتَابه بِرَفْع الدَّرَجَات فِي أربعة مَوَاضِع: **أَحدُهَا**: هَذَا. **وَالثَّانِي**: قَوْله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۞ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ

---

(١) البَاءُ: للاستعانة، والتقدير: (بسم الله أؤلف)، أو (بسم الله أفعل كذا وكذا مستعيناً بذكره متبرِّكًا به). و(الاسْمُ): مأخوذ من (السُّمو)، وهو العلو والظهور والارتفاع.

(٢) لفظ الجلالة: من أسماء الله الخاصة، وأصله: (الإله)، فحُذِفَت الهمزة؛ لكثرة الاستعمال، وأُدغِم اللَّام في اللَّام، فصار كما ترى.

(٣) الرحمن: اسمٌ دالٌّ على صفةٍ قائمةٍ به سبحانه. والرحيم: اسمٌ دالٌّ على تعلُّقِها بالمَرحُوم.

دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾[الأنفال:٢-٤]. **وَالثَّالِثُ:** قَوْله تَعَالَى: ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ﴾[طه:٧٥]. **وَالرَّابِعُ:** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا * دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗ﴾[النساء:٩٥-٩٦]، فهَذِهِ أربعةُ مَوَاضِع فِي ثَلَاثَةٍ مِنْهَا الرِّفعَة بالدَّرجَات لأهل الإيمان الَّذِي هُوَ العِلمُ النَّافع والعَمَل الصَّالِح، والرَّابع الرِّفعَة بِالجِهَادِ، فعَادَت رِفعَة الدَّرَجَات كلِّهَا إِلَى العِلْم والجهَاد اللَّذَينِ بهما قوام الدِّين. اهـ

وهذا عند العمل به ظاهرًا وباطنًا، وإلَّا لم يكن فيه نفع؛ لأنَّ الإيمان قَولٌ باللِّسان، واعتقادٌ بالقَلب، وعَمَل بالجَوَارِح.

والواو في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ للعطف، أي: كذلك يرفع الذين أوتوا العلم. وهذه الدرجات إنما تكون بحسب العِلم والعَمَل، و**أَصْلُ العِلْم**: ما كان من كتاب الله ومِن سُنَّةِ رسوله ﷺ وإجماع الصحابة، وكُلُّ قَولٍ أو عَمَل خالف هؤلاء فليس من الدين في شيء.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾: قال العلَّامة السعدي ﵀ عند تفسير هذه الآية: أي: يمتنع ويستحيل على بشَرٍ -مَنَّ اللهُ عليه بإنزالِ الكتابِ وتعليمِه ما لم يَكُن يَعْلَم وإرسالِه لِلخَلْق- أن ﴿يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، فهذا من أَمْحَل المُحَال صُدورُه من أحَدٍ من الأنبياء عليهم أفضَلُ الصَّلاة والسلام؛ لأن هذا أَقبَحُ الأوامر على الإطلاق، والأنبياء أكمَلُ الخلق على الإطلاق.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾، أي: ولكن يأمرهم بأن يكونوا ربانيِّين، أي: عُلَماء حُكَماء حُلَماء معلِّمين للناس ومربِّييهم بصغار العِلْم قَبْل كِبَارِه، عاملين بذلك، فهُم يَأمُرون بالعِلْم والعَمَل والتعليم التي هي مدار السعادة، وبفوات شيء منها يَحصُل النَّقْصُ والخَلَل.

وَعَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**المَاهِرُ بِالقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ البَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ**»، أَخْرَجَاهُ[١].

قال الإمام النوويُّ ﵀ في «شرحه على مسلم» (٦/ ٨٤): (**السَّفَرَةُ**): جَمْعُ (سَافِرٍ)، كـ(كَاتِب، وكَتَبَة)، والسَّافِرُ: الرَّسُول، والسَّفَرَة: الرُّسُل؛ لأَنَّهُم يُسْفِرُونَ إلى النَّاس برسَالاتِ الله. وقِيلَ: السَّفَرَة: الكَتَبَة. و(**البَرَرَةُ**): المُطِيعُونَ، مِنَ (البِرِّ)، وهُوَ الطَّاعَةُ. و(**المَاهِرُ**): الحَاذِقُ الكَامِلُ الحِفْظِ، الَّذِي لَا يتوقَّف ولَا يَشُقُّ عليهِ القِراءةُ بِجَوْدةِ حِفْظِه وإتْقَانِه. قَالَ القَاضِي: يحتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعنَى كَونه مَعَ المَلائِكَة: أَنَّ لَهُ فِي الآخِرَةِ مَنازِلَ يَكُونُ فِيهَا رفِيقًا للمَلائكَةِ السَّفرَة؛ لِاتِّصَافِهِ بصِفَتِهم مِن حَمْلِ كِتَابِ الله تَعَالَى، قَالَ: ويَحْتَمِل أَنْ يُرَادَ أَنَّهُ عامِلٌ بعَمَلِهم وسَالِكٌ مَسْلَكَهُمْ[٢].

وأَمَّا **الَّذِي يَتَتَعْتَعُ فِيهِ**: فَهُوَ الَّذِي يَتَرَدَّد فِي تِلَاوَتِهِ؛ لِضَعْفِ حِفظِهِ، فَلَهُ أَجرَانِ: أَجْرٌ بالقِرَاءَة، وأَجرٌ بِتَتَعْتُعِهِ فِي تلَاوتِهِ ومَشَقَّتِه. قَالَ القَاضِي وغَيْرُه مِنَ العُلَماءِ: ولَيْس مَعنَاهُ: الذِي يَتَتَعْتَعُ عليهِ لَهُ مِنَ الأَجرِ أَكْثَرُ مِنَ المَاهِرِ بِه، بَلِ المَاهِرُ أَفضَلُ وأَكثَرُ أَجرًا؛ لِأَنَّهُ مَعَ السَّفَرَةِ، ولَه أُجُورٌ كثيرَة، ولَم يذكُرْ هَذِه المَنزلةَ لغَيرِه، وكَيفَ يَلحَق بِهِ مَنْ لَم يَعْتَنِ بِكِتَابِ الله تَعَالَى وحِفْظِهِ وإِتقَانِه وكَثْرةِ تِلَاوَتِهِ ورِوَايَتِه كَاعتِنائِه حَتَّى مَهَرَ فِيهِ؟! واللهُ أعلَم. اهـ

وقوله: (**الْكِرَامُ**): المقصُودُ بهم: الملائِكَة، فَهُمْ كِرامٌ علَى الله؛ لحُسْن خَلقِهم وبَهَائِه وجَمَالِ أَخلَاقِهم وأَفعَالِهِمْ.

---

(١) البخاري: (٤٩٣٧)، مسلم: (٧٩٨)، واللفظ له.

(٢) والحاصل: أنَّ الماهر بالقرآن يكون بمنزلة الرُّسُل من الملائكة، وهي مَرتَبَة عظِيمَة لا يعلمها إلَّا الله ﷻ.

وَلِلْبُخَارِيِّ[١] عَنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَه»**، [قَالَ [الرَّاوِي]: وَأَقْرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي إِمْرَةِ عُثْمَانَ رضي الله عنه حَتَّى كَانَ الحَجَّاجُ، قَالَ: وَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا].

قال المناوي رحمه الله في كتابه "فيض القدير" (٣/ ٤٩٩): أي: خَيرُ المتعلِّمين والمُعلِّمين مَن كانَ تعلُّمُه وتَعلِيمُه في القرآن، لا في غيره؛ إذ خَيْر الكلامِ كلامُ الله، فكذا خَيرُ الناس بعد النبيِّين مَنِ اشتَغَل به[٢]، أو المراد: خير المتعلِّمين مَن يُعلِّم غيرَه، لا مَنْ يَقتَصِر على نفسِه[٣]، أو المراد خيريَّة خاصَّة من هذه الجهة، أي: جهة حصول التعليم بعد العِلْم، والَّذي يُعلِّم غيرَه يَحصُل له النفع المتعدِّي، بخلاف من يَعمَلُ فقط...

إلى أن قال: ولا شَكَّ أنَّ الجامع بينهما مُكمِّل لنفسِه ولِغَيْره، فهو الأفضل، وقال بعضُ المحقِّقين: والذي يَسبِق للفَهم مِن تَعلُّمِ القُرآنِ حِفظُه وتعلُّمُ فِقهِه، فالخيار من جمعهما.

قال الطِّيبي: ولابُدَّ مِن تَقيِيدِ التعلُّم والتعليم بالإخلاص[٤]، فَمَن أخلَصَهما

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٠٢٧).

(٢) قال محمَّدُ بن الحُسَين -كما في كتاب "نضرة النعيم" (٤/ ٢٢٧)-: أحَقُّ النَّاس باستعمالِ هذا التَّعظيم بعد رسول ﷺ أهلُ القرآن إذا جَلَسُوا لِتَعلِيم القرآن يريدون به الله عز وجل.

(٣) فهذا فيه أنَّ البَرَكَة في التعليم، ومن تأمَّل في حياة أبي حيان رحمه الله يَجِد أنَّه كان لا يُدرِّس سِوَى كتابَين: "الكتاب" لِسِيبَوَيه، و"شرح الكافية" لابن مالك رحمهما الله.

(٤) وهذه مسألة مُهِمَّة افتقدها كثير مِمَّن ينتسبون إلى العلم قبل غيرهم، ولم تَذهَبْ بركةُ بعضهم -بل وكثير من الدعوات- إلَّا بعدما دخل فيها ما دخل من الرياء وتركَهُم الله عز وجل وشِركَهُم، ولهذا جاء عند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ فيما يرويه عن ربه: **«قَالَ تبارك وتعالى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»**.

والإخلاص -كما عرَّفَه الجرجانيُّ في "التعريفات" (١٤)-: أن لا تَطلُب لِعَمَلِك شاهدًا غيرَ الله.

وقد أمر اللهُ عز وجل به عباده، فقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[البينة:٥]، وقال: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[الزمر:١١]، والله عز وجل لا يَقْبَل مِنَ العمل إلَّا ما كان خالصًا لوجهِه سبحانه موافقًا لهَدْي نبيِّه ﷺ، فقد جاء في "الصحيحة" للعلَّامة الألباني رحمه الله من حديث أبي أُمَامَة الباهليِّ رضي الله عنه قال: جاء =

وتخلَّق بهما دخَل في زُمْرة الأنبياء[١]. اهـ

وَلِمُسْلِمٍ[٢] عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ: الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ؛ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ**»[٣].

= رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غزَا يَلتَمِسُ الأجْرَ والذِّكْر، ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لَا شَيْءَ لَه**»، فأعاد ثلاث مرَّات يقول له رسول الله ﷺ: «**لَا شَيْءَ لَه**»، ثُمَّ قال: «**إنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ العَمَلِ إلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُه**». وقال ابنُ القيِّم في "بدائع الفوائد" (٣/ ١٢٢١): إذا لم تُخْلِصْ فلا تَتْعَبْ.

(١) وحاصِل هذا: أن الذي يعتني بالقرآن حِفظًا وتعليمًا -ولو لم يَجِد مَن يُعلِّمُه إلَّا ولده أو زوجته أو نحوهما- يكون مع السَّفَرَة الكِرَام البَرَرة، والذي يعتني بالقرآن والفِقْه في الدِّين وفْقَ هَدْيِ السَّلَف يَكُونُ في زُمرَة الأنبياء. ونَصِيحَتي للأب أن تكون له سُلْطَة في المنزل دون إفراط ولا تفريط، وأن يُعلِّم أولادَه، فلا يترك الحبل على الغارب حتى لا تحصل مساوئ ومَآسِف بسبب التساهل، والله المستعان.

(٢) أخرجَه مُسلِم برقم: (٨٠٤).

(٣) أي: لا تستطيع السَّحَرة على مَن يُلازِم قراءة البقرة. والسِّحْر لُغَةً: عبارة عمَّا خَفِي ولَطُف سَبَبُه؛ لأنَّ أعْمَالَ السَّاحِرِ تَقَع خُفْيَةً. وفي الشَّرْع: يَنقَسِم إلى قِسمَين: ١- عُقَدٌ ورُقًى: أي: قراءات وطلاسم يَتَوصَّل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما يريد به ضرر المسحور بإذن الله. ٢- أدويةٌ وعقاقيرُ تُؤَثِّرُ عَلَى بَدَنِ المسحور وعَقْلِهِ وإرادتِهِ ومَيْلِهِ: فتجده ينصرف ويميل، وَهُوَ ما يُسمَّى عندهم بـ(الصَّرف والعطف)، فالأوَّل شِركٌ، والثاني عدوان وفسوق. "القول المفيد" (١/ ٤٨٩) للعلَّامة العثيمين رحمه الله.

تَنْبِيهٌ: تَعَلُّم السِّحر مُحَرَّمٌ لأيِّ عِلَّةٍ كَانَت، وأمَّا حُكْم السَّاحر: فالصحيح أنَّ فيه تفصيلًا: فما كَانَ عن طريق الأدوية والعقاقير كَانَ فاسِقًا، وما كَانَ عن طريق الشياطين كَانَ كافرًا كفرًا أكبر. وتسمية الأدوية والعقاقير -وهكذا النميمة- (سحرًا) إنَّما هو أغلبيٌّ. والسِّحر حقيقيٌّ لا تَخَيُّل كما ذَهَبَ إليه الأحنافُ والمعتزلة والفلاسفة أنَّه مجرَّد تخييل، وقد دلَّ على حقيقته الشارعُ، وكذا العقل السليم، ومِن أدِلَّة حقيقتِه: أنَّه يُتعَلَّم، فتعلُّمه وتعليمه فرعٌ عن حقيقته. "فتح الحميد لشرح كتاب التوحيد" (٨٣). =

قال الإمام أبو الحسن الهروي القاري في كتابه "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" (٤/ ٤٦٠): قوله: (اقْرَءُوا الْقُرْآنَ): أي: اغتنموا قراءته وداوِموا على تلاوَته. (فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعًا): أي: مُشفَّعًا. (لِأَصحَابِهِ): أي: القائمين بآدابه[1].

(اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ: البَقَرَةَ[2] وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ): سُمِّيَتَا (زَهْرَاوَيْن)؛ لكثرة أنوار الأحكام الشَّرعية والأسماء الحُسْنَى العَليَّة. (فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ): أي: تحضران، وقيل: يأتي ثوابهما. (يَوْمَ القِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ): أي: سحابتان تُظِلَّان صاحبهما عن حرِّ الموقف، قيل: هي ما يَغُم الضوء ويمحوه؛ لشِدَّة كثافته. (أَوْ غَيَايَتَانِ): وهي بالياءين: ما يكون أَدوَن منهما في الكثافة وأَقرَب إلى رأس صاحِبهما كما يُفعَل بالملوك، فيحصل عنده الظل والضوء جميعًا. (أَوْ فِرْقَانِ): أي: طائفتان. (مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ): وهي الجماعة الواقفة على الصف، أو الباسطات أجنحتها متصلًا بعضها ببعض.

= وقد عدَّ النبيُّ ﷺ السِّحْرَ من الموبقات، أي: المُهلِكَات، فقد جاء في "الصحيحين" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِالله، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَومَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ».

وللسِّحْر علاجات كثيرة، وأفضل علاجٍ لفكِّه: أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر، فيدقه بين حجرين، ثم يضعها على ماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل، وهي السُّوَر التي تبدأ بـ(قُل)، وهي الجن والكافرون والإخلاص والفلق والناس، ثم يَحسُو منه ثلاث حسوات، ثم يغتسل به، فإنَّه يَذهَبُ عنه كُلُّ ما بِهِ بإذن الله عز وجل.

(١) ينبغي للقارئ الحافظ لكتاب الله أن يستعمل تقوى الله عز وجل في السِّرِّ والعلانية باستعمال الورع في مَطْعَمِه ومَشْرَبه ومَلبَسِه ومَكْسَبِه، مُقبِلًا على شأنه، مهتمًّا بإصلاح ما فسَد مِن أمْرِه، حافظًا لِلِسَانِه، لا يَسُبُّ أحدًا، ولا يشْمَت بمصيبة، ولا يبغي على أحد ولا يَحسده، ولا يُسيء الظنَّ بأحد إلَّا بمَن يستحق، يُلزِم نفسَه بِرَّ والدَيه، فيخفض لهما جناحه، ويخفض لصوتهما صوتَه، ويَبذُل لهما مالَه، وينظر إليهما بعين الوقار والرحمة، يدعو لهما بالبقاء، ويشكر لهما عند الكبر، لا يضجر بهما، ولا يحقرهما، إن استعانا به على طاعةٍ أعانَهُما، وإن استعانَا به على معصية لم يُعِنهُما، يصل الرحم... إلى غير ذلك من فعل الخيرات وتركِ المنكرات. انتهى بتصرف من "مختصر آداب حملة القرآن" (٢٥).

(٢) بالنصب على البدلية، أو بتقدير: (أَعْنِي)، ويجوز رفعها.

قال الطِّيبِي: (أَوْ): للتنويع، فالأوَّل لمن يقرأهما ولا يفهم معناهما، والثاني لمن يجمع بينهما، والثالث لمن ضَمَّ إليهما تعليم الغَير. (**تُحَاجَّانِ**): أي: السورتان تدافعان الجحيم والزبانية، أو تجادلان وتخاصمان الرَّبَّ أو الخَصْم. (**عَنْ أَصْحَابِهِمَا**): وهو كناية عن المبالغة في الشفاعة.

(**اقْرَءُوا سُورَةَ البَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ**[١]): أي: منفعة عظيمة. (**وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ**[٢])، أي: ندامة يوم القيامة. (**وَلَا يَسْتَطِيعُهَا البَطَلَةُ**): أي: أصحاب البطالة والكسالة؛ لِطُولِها. وقيل: أي: السَّحَرة؛ لأن ما يأتون به باطل.

وَلَهُ [-أَيْ: لِمُسْلِمٍ-][٣] عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**يُؤْتَى بِالقُرْآنِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ، تَقْدُمُهُ سُورَةُ البَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ**»، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ[٤] مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: «**كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ، أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا**».

قال الإمام أبو الحسن الهروي القاري في كتابه «مرقاة المفاتيح» (٤/ ٤٦١): قوله: (**يُؤْتَى بِالقُرْآنِ**): أي: متصورًا، أو بثوابه. (**وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ**): دلَّ على أنَّ مَن قرأ ولم يَعمَل به[٥] لم يكن من أهل القرآن، ولا يكون شفيعًا لهم، بل يكون

---

(١) بركَةٌ في الدين والمال والولد والصحة والوقت، ونحو ذلك.

(٢) أي: حسرة وندامة في الدنيا والآخرة، كالابتلاءات وكثرة نزول العقوبات، ونحو ذلك.

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٨٠٥).

(٤) وضَرْبُ الأمثلة من عادات العرب، يُؤتَى بها لتوضيح المقالة.

(٥) كأن يكون مرائيًا يرائي به الناس، أو يَطلُب بذلك شيئًا من حطام الدنيا، كما هو حال بعضهم، والنبي ﷺ يقول -كما في «صحيح الترغيب والترهيب» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه-: «**فَيَقُولُ اللهُ ﷻ لِلقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ تبارك وتعالى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ قَارِئٌ، وَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ**» ثُمَّ يُسحب إلى النار والعياذ بالله.

القرآن حجة عليهم. (ظُلَّتَانِ): سحابتان. (سَوْدَاوَانِ): لكثافتِهما وارتِكَامِ البعض منهما على بعض، وذلك من المطلوب في الظِّلال. قيل: إنما جُعِلتَا كالظُّلَّتين؛ لِتكُونَا أَخوَفَ وأشَدَّ تعظيمًا في قلوب خصمائهما؛ لأنَّ الخوف في الظُّلَّة أكثر، قال المظهر: ويحتمل أن يكون لأجل إظلال قارئِهما يوم القيامة. (بَيْنَهُمَا شَرْقٌ[1]): أي: ضوء، ونُورُ الشَّرْق: هو الشمس؛ تنبيهًا على أنهما مع الكثافة لا يستران الضوء.

وَحَاصِلُ هَذَا: أنه يُؤتَى بثواب القرآن يوم القيامة مع أهله، تقدمهم البقرة وآل عمران على هيئة ظُلَّتَين لا يعلم قدرهما إلَّا الله ﷻ، وذلك لأمور:

منها: أنهما يجعلان الهيبةَ والعظَمَةَ لصاحب القرآن الذي كان يعمل به في الدنيا، وهذا لا يكون إلَّا لمن أخلَصَ النيَّة لله ﷻ.

ومنها: أنهما يحجبانه عن حَرِّ الشمس، فيَتَبَشْبَشُ ويَفرَح بلقاء ربِّه، بينما غيره يكون في غاية من الشِّدَّة والخوف المؤذن بالهلاك.

ومنها: أنهما يحاجَّان عن صاحبهما حتَّى يُدخِلَاه بإذن الله ﷻ الجنة.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ: (أَلِف) حَرْفٌ، وَ(لَام) حَرْفٌ، وَ(مِيم) حَرْفٌ»، رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[2].

قال الإمام أبو الحسن الهروي القاري في كتابه "مرقاة المفاتيح" (٤/ ٤٧١): قوله: (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ): أي: عَطِيَّة. (وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا): أي: مضاعفة بالعشر، وهو أقل التضاعف الموعود بقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[الأنعام:١٦٠]، واللهُ يضاعِف لمن يشاء. وللحرف مَزِيَّة على غيره،

---

(١) بفتح الشين المعجمة وسكون الراء بعدها قاف، وقد رُوِي بفتح الراء، والأول أشهَرُ.

(٢) **صحيح:** صحَّحه الألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم: (٣٣٢٧)، و"صحيح سنن الترمذي" برقم: (٢٩١٠).

و(الحَرفُ): يُطلَق على حرف الهجاء، والمعاني، والجملة المفيدة، والكلمة المختلف في قراءتها، وعلى مُطلَق الكلمة، ولذا قال ﷺ: **«لَا أَقُولُ: ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ: (أَلِف) حَرْفٌ، وَ(لَام) حَرْفٌ، وَ(مِيم) حَرْفٌ»**، بالسكون على الحكاية، وقيل: بالتنوين.

وَلَهُ [-أَي: لِلتِّرْمِذِيِّ[(١)] -] وَصَحَّحَهُ عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«يُقَالُ لِصَاحِبِ القُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا»**، وَلِأَحْمَدَ[(٢)] نَحْوُهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ وَفِيهِ: **«فَيَقْرَأُ وَيَصْعَدُ بِكُلِّ آيَةٍ دَرَجَةً، حَتَّى يَقْرَأَ آخِرَ شَيْءٍ مَعَهُ»**.

قال الإمام أبو الحسن الهروي القاري في كتابه «مرقاة المفاتيح» (٤/ ٤٦٩):

قوله: (**يُقَالُ**): أي: عند دخولِ الجنة وتوجُّهِ العاملِين إلى مَراتِبِهم على حسب مكاسبِهم. (**لِصَاحِبِ القُرْآنِ**): أي: مَن يُلازِمُه بالتلاوة والحفظ والعمل. (**اقْرَأْ وَارْتَقِ**): أي: إلى درجَاتِ الجنَّة، أو مَرَاتِب القُرَب. (**وَرَتِّلْ**): أي: لا تستعجِلْ في قراءتِك[(٣)] في الجنة

(١) **صحيح**: صحَّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم: (٢٢٤٠)، و«صحيح وضعيف سنن الترمذي» برقم: (٢٩١٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد برقم: (١١٣٦٠)، وصححه الألباني في «صحيح وضعيف سنن ابن ماجه» برقم: (٣٧٨٠).

(٣) وهذا فيه أنه ينبغي للمسلم أن يتدبَّر بقراءة القرآن؛ لقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[المزمل:٤]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[محمد:٢٤]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[النساء:٨٢]، ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾[طه:١١٤]، ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾[القيامة:١٦]، ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾[الإسراء:١٠٦]، قال مجاهد: أي: على تُؤدَة. وقد كان السلف ﷺ يكرهون العَجَلة في قراءته، جاء في «الصحيحين» أنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى ابنِ مَسْعُود فقَال: قرَأتُ المُفَصَّلَ اللَّيلةَ في ركعَة، فقَال: **«هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ، لَقَدْ عَرَفْتُ النَّظَائِرَ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرُنُ بَيْنَهُنَّ»**، فذكَر عِشرين سورةً من المُفصَّل، سورَتَينِ في كُلِّ رَكعَة، وصحَّ عنه أيضًا أنه قال: **«لَا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقَلِ، وَلَا تَهُذُّوهُ هَذَّ الشِّعْرِ، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ القُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ»**. والدَّقَل: رديء التَّمر ويابسه، يكثر سقوطه إذا هُزَّ العذق. وجاء في كتاب «نضرة النعيم» (٤/ ٢٢٤) بسند صحيح عن أيُّوب، عن أبي جمرة الضّبعيِّ قال: قُلتُ لابنِ عبَّاس: إنِّي سريعُ القِراءَة، إنِّي أقرأ القرآن في ثلاثٍ، =

التي هي لمجرَّد التلذُّذ والشُّهُود الأكبر كعبادة الملائكة. (**كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ**): أي: قراءتك، وفيه إشارة إلى أنَّ الجزاء على وفق الأعمال كمِّيَّةً وكيفِيَّة. (**فِي الدُّنْيَا**): مِن تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف، الناشئ عن علوم القرآن، ومعارِفِ الفرقان.

(**فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**): قال الحافظ ابن حجر ﵀: ويُؤخَذ من الحديث أنه لا يَنَال هذا الثواب الأعظم إلَّا مَن حَفِظ القرآنَ وأتقَنَ أداءَه وقراءتَه كما ينبغي له[1].اهـ

وينبغي للقارئ أن يتعلَّم شيئًا من سُنَّة النبيِّ ﷺ حتَّى تكونَ قراءته وصلاته على هدي النبي ﷺ[2]، وإن هو صلَّى بالناس ينبغي له أن يقرأ ما تيسَّر له ولا يتكلَّف

= قال: «**لَأَنْ أَقْرَأَ البَقَرَةَ فِي لَيْلَةٍ فَأَتَدَبَّرَهَا وَأُرَتِّلَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْرَأَ كَمَا تَقُولُ**». وكان محمَّد بن الحسين يقول: القَلِيلُ من الدَّرس للقرآن مع الفِكْر فيه وتدبُّره أحَبُّ إليَّ من قراءةِ الكَثِير من القرآن بغير تدبُّر ولا تفكُّر فيه، وظاهرُ القرآنِ يدلُّ على ذلك والسُّنَّةُ وقَولُ أئمَّةِ المسلِمين.

واعلم -وفَّقنِي اللهُ وإيَّاك- أنه يتيسَّر لك ما تطلبه بقدر قراءتك للقرآن، فقد جاء في "ذيل طبقات الحنابلة" (٣/ ٢٠٥) عن ضياء المقدسي أنه قال: أوصاني عمادُ الدِّين المقدسي وقت سفري، فَقَالَ: أَكْثِرْ من قراءة القُرْآن، ولا تتركه فَإِنَّهُ يتيسر لَك الَّذِي تطلبه عَلَى قدر مَا تقرأ، قَالَ: فرأيت ذَلِكَ وجرَّبته كثيرًا.

(١) تنبيه: جاءت لفظة (ينبغي) في كتاب الله ﷻ في ستَّة مواضع، ولم يأت منها موضع واحد تعدَّت فيه بغير اللَّام، وهكذا السُّنَّة، وعليه فقول بعضهم: (ينبغي عليه)... -أو نحوه- وَهَمٌ.

(٢) ومن هذا الباب معرفة شروط الصلاة وأركانها وواجباتها ومستحبَّاتها:

فأمَّا شُروطُها فتِسعَةٌ: الإسلام، والعقل، والتمييز، ورفع الحدَث، وإزالة النجاسة، وستر العورة، ودخول الوقت، واستقبال القبلة، والنية.

وأمَّا أركَانُها فأربَعَة عَشَر: القيام مع القدرة، وتكبيرة الإحرام، وقراءة الفاتحة، والركوع، والرفع منه، والسجود على الأعضاء السبعة والاعتدال منه، والجلسة بين السجدتين، والطمأنينة في جميع الأركان، والترتيب والتشهد الأخير، والجلوس له، والصلاة على النبي ﷺ، والتَّسلِيمَتان.

وأمَّا واجبَاتُها فثَمانِيَة: جميع التكبيرات غير تكبيرةِ الإحرام، وقولُ: (سُبحَانَ ربِّي العَظِيم) في الركوع، وقَولُ: (سَمِع اللهُ لمن حَمِده) للإمام والمنفرد، وقولُ: (رَبَّنَا ولَك الحَمْد) للكل، وقَولُ: (سُبحَانَ ربِّي الأعلى) في السجود، وقَولُ: (رَبِّ اغْفِر لِي) بين السَّجدتين، والتشهد الأوَّل، والجلوس له.

فالأركان ما سقط منها سهوًا أو عمدًا بطلت الصلاة بتركه، والواجبات ما سقط منها عمدًا بطلت الصلاة بتركه، وسهوًا جبره السجود للسهو. =

= **وأمَّا مُستَحَبَّاتُها فكَثِيرَة**: منها: الاستفتاح، والتعوُّذ، والبسملة، والتأمين، والقراءة بعد الفاتحة بما تيسَّر من القرآن، وقول: (مِلْء السَّماءِ ومِلْء الأَرضِ ومِلْء مَا شِئْت مِن شيءٍ بَعدَ) بعد قوله: (رَبَّنَا ولَكَ الحَمْد)، وما زاد على المرَّة الواحدة في تسبيح ركوعٍ وسجود، والزيادة على المرَّة في قول: (رَبِّ اغفِرْ لِي) بين السجدتين، وقوله: (اللَّهُمَّ إني أعُوذُ بِك مِن عذَابِ جهنَّم، ومِن عذَابِ القَبْر، ومِن فِتنَة المَحْيَا والمَمات، ومِن فتنة المَسِيح الدَّجَّال)، وما زاد على ذلك الدعاء في التشهُّد الأخير، ورفع اليدين عند تكبيرة الإحرام، وعند الهَوي إلى الركوع، وعند الرفع منه، وعند القيام إلى الركعة الثالثة، ووضع اليد اليُمنَى على اليسرى، ووضعهما بين الصدر والسُّرَّة في حال القيام، والنظر إلى موضع سجوده، ووضع اليدين على الركبتين في الركوع، ومجافاة بطنه عن فخذيه وفخذيه عن ساقيه في السجود، ومَدُّ ظَهرِه في الركوع معتدلًا وجعل رأسِه حياله، فلا يخفضه ولا يرفعه، وغير ذلك من سنن الأقوال والأفعال مما هو مفصَّل في كتب الفقه.

وهذه السنن لا يلزم الإتيان بها في الصلاة، بل مَن فعلها أو شيئًا منها فله زيادة أجر، ومَن ترَكَها أو بعضَها فلا حَرَج عليه. انتهى بتصرُّف من كتاب "شروط الصلاة وأركانها وواجباتها" (٣-١٢) للمصنف ﷫، و"الملخص الفقهي" (١/ ١٣٣).

وأمَّا قَولُ بعضِهم: (اللَّهُم اهدِنَا فِيمَن هَدَيت) في الركعة الثانية من صلاة الفجر فلم يثبت عنه ﷺ ولا عن الصحابة ولا عن التابعين من بعدهم؛ لذا وجب التنبيه.

مَسْأَلَة: كيفيَّة صَلاةِ الجنَازَة:

قالَ ابنُ قُدامَة في "المغني" (٢/ ٣٦٢): والصلاة عليْه: يُكبِّر، ويَقْرأ الحَمْد، وجملة ذلك أنَّ سنة التكبير على الجنازة أربع، ولا تُسَن الزيادة عليها، ولا يجوز النقص منها، فيُكبِّر الأولى، ثُم يَستَعِيذ ويقرأ الحمد، ويَبدَؤُها بـ(بِسْمِ الله الرحمَن الرَّحِيم)، ولا يُسَن الاستفتاح، ولا يقرأ فيها بعد الفاتحة بشيء، ثم يُكبِّر الثانية ويصلِّي على النبيِّ ﷺ كما يُصلِّي عليه في التشهد، ويُكبِّر الثالثة ويدعو لنفسه ولوالديه وللمسلمين ويدعو للميِّت، وإن أحبَّ أن يقول: (اللَّهُم اغفِر لحَيِّنَا وميِّتِنَا، وشَاهِدِنا وغائِبِنا، وصغيرِنَا وكبيرِنا، وذكَرِنا وأُنثَانَا، إنَّكَ تَعلَمُ مُنقلَبَنا ومَثوَانَا، إنَّك على كلِّ شيءٍ قدير، اللَّهُم مَن أحيَيْتَه مِنَّا فأَحْيِه على الإسلام، ومَن تَوفَّيتَهُ مِنَّا فتوَفَّه على الإيمان، اللهم إنَّه عَبدُك وابنُ أَمَتِك، نَزَل بِكَ وأنْتَ خَيْر مَنزُولٍ به، ولا نَعْلَم إلَّا خيرًا، اللَّهُم إن كان مُحسِنًا فجازِه بإحسانه، وإن كان مُسِيئًا فتجاوَزْ عنه، اللَّهُم لا تَحرِمْنَا أجْرَه، ولا تَفْتِنَّا بعده). والواجب أدنى دعاء؛ لأنَّ المأمور به إخلاص الدعاء للميت، وهذا يحصل بأدنى دعاء، ولأنَّ المقصود الشفاعة له والدعاء؛ فيجب أقل ذلك. ثم يُكبِّر الرابعة ويقف قليلًا، ثم يُسلِّم. اهـ بتصرف.

مَسْأَلَة: صِفَة الوُضُوء:

وهي أن يَنوِي رفْعَ الحدَث، أو الوضوء للصلاة ونحوها، والنيَّة شَرطٌ لجميع الأعمال مِن طَهَارةٍ وغيرِها؛ لقوله ﷺ: «**إنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**» متفقٌ عليه. ثم يقول: (بِسْمِ الله)، =

بقراءة سُوَر يضعف حفظه فيها؛ حتى لا تكثر أخطاؤه فينشغل ويسبب الملل للمأمومين، فكلَّما كان الإمام(١) حافظًا متقنًا كانت قراءتُه أَجْوَد، وكانت أدْعَى لخشوعه وخشوعِ المأمومين ولو قرأ أو ردَّد سُوَرًا من قصار المفصَّل(٢)، ففي "صحيح

= ويَغسِل كفَّيْه ثلاثًا، ثم يتمضمض ويستنشق ثلاثًا بثلاث غرفات، ثم يَغسِل وجْهَه ثلاثًا، ويَدَيْه إلى المرفقين ثلاثًا، ويمسح رأسَه مِن مقدم رأسِه إلى قفاه بيديه، ثم يعيدهما إلى المَحَلِّ الذي بدأ منه مرَّةً واحِدَة، ثُمَّ يُدخِل سَبَّابَتَيه في صماخَي أُذُنَيْه ويمسح بإبهاميه ظاهرهما، ثم يَغسِل رِجلَيْه مع الكعبين ثلاثًا ثلاثًا. هذا أكمل الوضوء الذي فعله النبيُّ ﷺ.

والفَرْضُ من ذلك: أن يَغسِل مرَّة واحدة، وأن يُرتِّبها على ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ [المائدة:٦]، وألَّا يفصل بينها بفاصل طويل عُرفًا، بحيث لا يَنبَنِي بعضه على بعض، وكذا كل ما اشترطت له الموالاة. "منهج السالكين" (٤٢) للعلَّامة السعدي ؒ بتصرُّف.

(١) وليعلم الإمام أن هذه الوظيفة من وظائف الأنبياء ؈، فقد كان النبيُّ ﷺ يصلِّي بأصحابه حتى توفَّاه الله ﷻ، وعليك -يا مَن وفَّقك الله ﷻ هذه الوظيفة- أن تراعيَ أمورًا: منها: التخفيف على الناس في الصلاة من غير إفراط ولا تفريط، فقد جاء عند مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«إِذَا أَمَّ أَحَدُكُمُ النَّاسَ فَلْيُخَفِّفْ؛ فَإِنَّ فِيهِمُ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَالمَرِيضَ** -وفي رواية: **وَذَا الحَاجَةِ- فَإِذَا صَلَّى وَحْدَهُ فَلْيُصَلِّ كَيْفَ شَاءَ»**، ولمَّا سمع النبيُّ ﷺ أنَّ معاذًا يطيل الصلاة في مسجد قَومِه عاتبه وزجَره وقال له -كما في "الصحيحين" من حديث جابر بن عبدالله ؓ-: **«يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ** -ثَلاَثًا- **اقْرَأْ: وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى وَنَحْوَهَا»**. ومِنهَا: مراعاة كبار السِّن ما لم يطلبوا شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ، فقد جاء في "الصحيحة" للعلامة الألباني ؒ من حديث عمران وغيره ؆ أن النبيَّ ﷺ قال: **«لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ»**، وجاء في "الصحيحين" من حديث عائشة ؅ أن رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»**. ومنها: أن يَجعَل صغار السن أمام المصلِّين بجانبه أو قريبًا منه حتى لا يعبثوا في المسجد، وهذه السُّنَّة هجرها كثير من أهل الإسلام، فقد جاء في "صحيح سنن النسائي" للعلامة الألباني ؒ من حديث عَبْدِالله بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ فِي إِحْدَى صَلَاتَيِ العِشَاءِ وهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ الله ﷺ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ فَصَلَّى، فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا، قَالَ أَبِي: فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ الله ﷺ وهُوَ سَاجِدٌ، فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ الله ﷺ الصَّلَاةَ قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ الله! إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِكَ سَجْدَةً أَطَلْتَهَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ، قَالَ: **«كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، ولَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ»**.

(٢) والمراد بالمفصَّل: من سورة الدخان إلى سورة الناس. وقيل: من سورة الحجرات.

البخاري»[(١)] من حديث قتادَة بنِ النُّعمان، أنَّه قال: قام رَجُلٌ في زمَن النَّبيِّ ﷺ يقرأُ مِنَ السَّحرِ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ لاَ يَزِيدُ عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا أَتَى الرَّجُلُ النَّبيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ -وكأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا- فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ**»، بل قام النبي ﷺ ليلةً كاملةً في آيةٍ واحدة يُردِّدهَا لا يزيد عليها، فقد جاء عند «أحمد»[(٢)] من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه، قال: صلَّى رسول الله ﷺ ليلةً، فقرأ بآيةٍ حتى أصبح، يركع بها ويسجد بها: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[المائدة: ١١٨].

وينبغي للحافِظ أن يعتنيَ بصِحَّتِهِ وسلامةِ بدَنِهِ، فهو من أقلِّ الناس وأفضَلِهم على الإطلاق بعد العلماء إن هو تمسَّك بكتاب الله وسُنَّةِ النبيِّ ﷺ على فَهْمِ سَلَفِ الأُمَّة.

وإيَّاك والزلَّات وفلتات اللسان[(٣)]، كالسُّخريَة والاستهزاء[(٤)] والبَغْي ونحو ذلك، فلا يليق بك أن تتصرَّف تصرُّفَ الجَهَلة من الناس، ولا يصدُرَنَّ منك شيء

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٠١٤).

(٢) أخرجه أحمد برقم: (٢١٣٢٨).

(٣) اعلم -وفَّقنِي اللهُ وإيَّاك- أنَّ الله عز وجل أمر بحفظ اللسان، فقال عزَّ من قائل: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق:١٨]، بل أخبر النبيُّ ﷺ أنها من أكبر أسباب دخول النار، فقد جاء في «الصحيحة» للعلامة الألباني من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وفيه: قلت: يا رسول الله وإنَّا لَمُؤاخَذُون بما نتكلَّم به؟ فقال: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ** -أو قال: **عَلَى مَنَاخِرِهِمْ- إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»، وجاء عند «أحمد» وصحَّحه العلامة الألباني في «الصحيحة» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ فُلَانَة يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «**هِيَ فِي النَّارِ**»، وفي «البخاري» من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه مرفوعًا وفيه: «**وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ، فَيَكْذِبُ الكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ**»، وجاء في «موطأ» الإمام مالك وصحَّحه العلامة الألباني في «الصحيحة»، عَنْ أَسْلَمَ أنه قَالَ: إِنَّ عُمَرَ دَخَلَ يَوْمًا على أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنهما وهُوَ يَجْبِذُ لِسَانَهُ، فَقَالَ عُمَرُ: مَهْ غَفَرَ اللهُ لَك، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ هَذَا أَوْرَدَنِي المَوَارِدَ.

(٤) وقد نهى الشارع الحكيم عن السُّخرِيَة والاستهزاء فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾[الحجرات:١١]، وجاء في «صحيح سنن أبي داود» للألباني من =

ليس في كتاب الله ولا في سنة النبي ﷺ، وعليك بتقوى[(١)] الله ﷻ فإنها مفتاح العلم، قال الله ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٢]، واحذر مجالس الرِّيَب والمَقاهِي والطرقات، فقد جاء في "الصحيحين"[(٢)] من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ**»، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: «**فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا**»، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «**غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، ورَدُّ السَّلاَمِ، وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ**».

= حديث عائشة ﷺ قالت: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا -قَالَ غَيْرُ مُسَدَّدٍ: تَعْنِي قَصِيرَةً- فَقَالَ ﷺ: «**لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ**»، والسُّخرية من سِمات أهلِ الكُفْر والنفاق، قال الله ﷻ: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[البقرة:٢١٢]، وهي من أسباب حلول العقوبة على العبد، قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[الأنعام:١٠].

(١) قال عليُّ بنُ أبي طالب ﷺ في تعريف التقوى: هيَ العمل بالتنزيل، والخوف من الجليل، والرِّضا بالقليل. وقال طلق بن حَبيب ﷺ: أن يعمل بطاعة الله ﷻ رجاءَ رحمتِه على نورٍ من الله، وأن يترك معصية الله مَخافةَ عذابِه على نورٍ منه. وقال شيخ الإسلام ﷺ: التَّقوَى: فِعلُ ما أمَرَ اللهُ به، وتَركُ ما نَهَى اللهُ عنه. "فتح الحميد لشرح كتاب التوحيد" (١٨٠).

وتقوى الله ﷻ مفتاح كلِّ خير، فينبغي للمسلم مراقبة الله ﷻ وملازمة التقوى بقدر الاستطاعة حتى بين أولاده، قال الله ﷻ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن:١٦]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[الطلاق:٢-٣]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[الطلاق:٤]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾[الطلاق:٥]، وجاء في "الصحيحين" من حديث عدي بن حاتم ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»، ولهما من حديث النُّعمان بن بشير ﷺ قال: تصدَّق عليَّ أبي ببعض ماله، فقالت أمِّي عمرة بنتُ رواحة: لا أَرْضَى حتَّى تُشهِد رسول الله ﷺ، فانطلق أبي إلى النَّبيِّ ﷺ ليشهده على صدَقتِي، فقال له رسول الله ﷺ: «**أَفَعَلْتَ هَذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟**»، قال: لا، قال: «**اتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ**»، فرَجَع أبي فردَّ تلْكَ الصَّدقَة.

(٢) البخاري: (٢٤٦٥)، مسلم: (٢١٢١).

وَلِأَحْمَدَ[(١)] أَيْضًا عَنْ بُرَيْدَةَ ﷺ مَرْفُوعًا: «تَعَلَّمُوا سُورَةَ البَقَرَةِ»، فَذَكَرَ مِثْلَ مَا تَقَدَّمَ فِي "الصَّحِيحِ" فِي البَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ، وَفِيهِ: «وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ، فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الهَوَاجِرِ وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ[(٢)]، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ، فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ[(٣)] لَا يُقَوَّمُ لَهُمَا

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد برقم: (٢٢٩٥٠)، وصححه الألباني في "الصحيحة" برقم: (٢٨٢٩).

(٢) وهذا فيه أن المرء يُسأَل يوم القيامة عن تجارته وكيف كان تعامُلُه مع الفقراء والمساكين، وهل كانت تجارته في الحلال أم في الحرام؟ وما أكثر من يتاجر فيما لا يَحِل بيعُه وشراؤه في هذه الأزمنة حتى على مستوى الملابس، لاسيَّما ملابس النساء، فلا تكاد تجد محلًّا يخلو من بيع الملابس الضيِّقة الكاشفة للعورات، بل صار الناس يتباهون بمثل هذه الملابس التي لا يجوز بيعُها ولا شراؤها ولا لبسُها.

(٣) وهذا يُعَدُّ من البر. وبرُّ الوَالِدَين: الإحسان إلى الوالدين، والتَّعطُّف عليهما، والرِّفق بهما، والرِّعاية لأحوالهما، وعدم الإساءة إليهما، وإكرام صديقهما من بعدهما. وقد أمر الله ﷻ بعبادته وتوحيده، وجعل برَّ الوالدين مقرونًا بذلك، كما قرن شكرهما بشكره فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[الإسراء:٢٣]، وقال: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾[الإسراء:٢٤]، وقال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[لقمان:١٤]، وأخبر رسول الله ﷺ أنَّ برَّ الوالدين أفضل الأعمال بعد الصَّلاة الَّتِي هي أعظَم دَعَائِم الإسلام، كما في "الصحيحين" من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألتُ النَّبيَّ ﷺ: أيُّ العَمَل أحبُّ إلى الله ﷻ؟ قال: «**الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا**»، قال: ثُمَّ أيٌّ؟ قال: «**برُّ الوَالِدين**»، قال: ثُمَّ أيٌّ؟ قال: «**الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله**». ولهُمَا عن عَبْدِالله بْنِ عَمْرٍو ﷺ قالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَاد، فَقَالَ ﷺ: «**أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟**»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ**».

والبِرُّ سَببٌ لتفريج الهموم والكربات، لاسيما في وقت الشدائد، ففي "الصحيحين" من حديث ابْنِ عُمَرَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَرَجَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ، فَأَصَابَهُمُ المَطَرُ، فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَة، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَى، ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ، فَأَجِيءُ بِالحِلَابِ فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ، ثُمَّ أَسْقِي الصِّبْيَةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي، فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، قَالَ: فَفُرِجَ عَنْهُمْ...**» الحديث.

والبِرُّ سببٌ لغفران الذنوب كبيرها وصغيرها ما لم تتعلَّق بحقوق الآخرين، فقد جاء في "صحيح =

أَهْلُ الدُّنْيَا، فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ. ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجِ الجَنَّةِ وَغُرَفِهَا، فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ، هَذًّا كَانَ، أَوْ تَرْتِيلًا».

قال السُّيوطِي -كما في "حاشية السندي" (٢/ ٤١٦)-: (**كَالرَّجُلِ الشَّاحِب**): هُوَ المُتغيِّرُ اللَّونِ والجِسمِ؛ لِعارِضٍ من العَوارض، كمَرَضٍ، أَوْ سَفرٍ ونحوِها، وكأَنَّه يجِيء عَلَى هذِه الهيئَة؛ ليكُونَ أَشْبَهَ بصاحِبِهِ في الدُّنيا، أَوْ لِلتَّنبيه له على أَنَّه كَما تغيَّرَ لَونُهُ

= الترمذي" للعلامة الألباني من حديث ابن عمر ﵄، أنَّ رجُلًا أتى النَّبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إنِّي أَصَبتُ ذنبًا عظيمًا فهل لي توبة؟ قال: «**هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟**»، قال: لا، قال: «**هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟**»، قال: نعم، قال: «**فَبِرَّهَا**».

وإيَّاك والعقوق فإنه سبب للشقاوة في الدنيا والآخرة، فقد جاء في "الصحيحة" للعلامة الألباني من حديث أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَابَانِ مُعَجَّلَانِ عُقُوبَتُهُمَا فِي الدُّنْيَا: البَغْيُ، والعُقُوق**». والعاقُّ لا يقبل الله منه الأعمال، فرضًا كانت أو نَفْلًا، فقد جاء في "الصحيحة" من حديث أبي أمامة ﵁، أن رسول الله ﷺ قال: «**ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُمْ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا: عَاقٌّ، وَمَنَّانٌ، ومُكَذِّبٌ بِالقَدَر**». وهو سببٌ من أسباب تأَخُّر العبد في النار والعياذ بالله، كما جاء عند الطبراني في "المعجم الكبير" وصحَّحه الألباني والوادعي ﵉، منْ حديث جَابِرٍ ﵁، قَالَ: صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ المِنْبَرَ فَقَالَ: «**آمِينَ آمِينَ آمِينَ**»، في رواية: لمَّا نَزَل قلنَا: يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئًا ما كُنَّا نسمعه، قَالَ: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ ﵇ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَدْرَكَ أَحَدَ وَالِدَيْهِ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ الله، قُلْ: آمِين، فَقُلْتُ: آمِين، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَمَاتَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَأُدْخِلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ الله، قُلْ: آمِين، فَقُلْتُ: آمِين، قَالَ: وَمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ الله، قُلْ: آمِين، فَقُلْتُ: آمِين**»، وجاء في "الصحيحة" من حديث أبي الدرداء ﵁، عن النبي ﷺ قال: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَاقٌّ، وَلَا مُدْمِنُ خَمْرٍ، وَلَا مُكَذِّبٌ بِقَدَر**».

والعُقُوقُ: هو صُدُورُ ما يتأذَّى به الوالدَان من وَلَدِهما مِن قَولٍ أو فِعْلٍ إلَّا في شِرْك أو مَعصِيَة، ما لم يتعنَّت الوالد. وغالب ما يكون العقوق بسبب تهاون الآباء في تربية الأبناء، وعليه فنصيحتنا للآباء انتقاءُ الحلال من المَأْكَل والمَشْرَب والمَلْبَس والمَسْكَن، واصطحابُ الأولاد منذ الصِّغَر والدعاءُ لهم لا عليهم، والصبرُ على تعليمهم، فكلَّما كان الولد متعلِّمًا كان بِرُّه أكثر، وكلَّما كان الولد جاهلًا كان عقوقه أكثر. قال ابنُ القيم في كتابه "تحفة المودود بأحكام المولود" (٢٢٩): وَأَكْثَر الْأَوْلَاد إِنَّمَا جَاءَ فَسَادُهُم من قِبَل الْآبَاء وإهمالِهم لَهُم وتَرْكِ تعليمِهم فَرَائِض الدِّين وسُنَنِه، فأضاعُوهُم صِغَارًا فَلم يَنتَفِعُوا بِأَنْفسِهم وَلم يَنفعُوا آبَاءَهُم كِبارًا، كَمَا عَاتب بَعضُهُم وَلَده على العقوق، فَقَالَ: يَا أَبَتِ إِنَّكَ عَقَقْتَنِي صَغِيرًا فعَقَقْتُكَ كَبِيرًا، وأَضَعْتَنِي وَلِيدًا فأَضَعْتُكَ شَيخًا.

في الدُّنيا لأَجل القِيَام بِالقرآنِ كَذَلِكَ القُرآنُ لأَجلِه في السَّعْي يَومَ القيامةِ؛ حَتَّى ينالَ صاحبُهُ الغَايةَ القُصوَى في الآخرةِ. (**فَيَقُولُ**): أَيْ: لِصَاحِبِهِ. اهـ

قوله: (**يُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ**): قال البَغَوِيُّ في كتابه "شرح السُّنَّة" (٤/ ٤٥٥): لم يُرِد به أنَّ شيئًا يُوضَع في يَدَيْه، وإنَّما أراد به: يُجعَل له الْمُلْك والخُلْد، ومَنْ جُعِل له شيءٌ ملكًا فقد جُعِل في يدِه. اهـ

وقوله: (**وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ**): الوَقَارُ: الرَّزانَة والحِلْم والعَظَمة. والحُلَّة: الثَّوب الجيِّد الجَدِيد. (**هَذًّا كَانَ أَوْ تَرْتِيلًا**): الهَذُّ: هو سُرعَةُ القراءة وسُرعَةُ القَطْع بما لا يُخِلُّ في أحكامِها. والتَّرتِيلُ: التأنِّي في القراءة والتمَهُّل فيها وتَبيينُ الحروف والحركات مع التَّفَهُّم.

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ**»، رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِي[(١)].

قال المناوي في كتابه "التيسير" (١/ ٣٨٤): قوله: (**أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ**): أَيْ: حَفَظَتُه العَامِلُونَ بِهِ، أَولِيَاءُ الله المختَصُّون بِهِ اخْتِصَاصَ أهْلِ الْإِنْسَانِ بِهِ، سُمُّوا بذلك تَعْظِيمًا لَهُم. وقال في موضِعٍ آخَر: أَيْ: المختصُّونَ بِهِ بِمَعْنى أَنَّه لَمَّا قرَّبَهُم واختَصَّهُم كَانُوا كأهلِه[(٢)].



(١) **صحيح**: رواه أحمد برقم: (١٢٢٩٢)، والنسائي في الكبرى برقم: (٨٠٣١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم: (١٤٣٢).

(٢) والمراد أنَّه يخصُّهُم برحمتِه ومغفرتِه ورِزقِه، سواء كان ذلك في المال أو الولد أو الصِّحَّة أو نحو ذلك.

٢- بَابُ مَا جَاءَ فِي تَقْدِيمِ أَهْلِ القُرْآنِ وَإِكْرَامِهِمْ

وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ ﷺ [وَمُشَاوَرَتِهِ]، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا(١).

قال العلَّامة العثيمين ﷺ في "شرح رياض الصالحين" (١/ ٢٧٥): عُمَرُ بنُ الخطَّاب ﷺ: أَمِيرُ المؤمِنين، وثَالِثُ رَجُلٍ في هذه الأُمَّة الإسلامية بعد نبيِّها ﷺ وبعد الخليفَة الأوَّل، وكان قد اشتهر بالعدل بيْن الرَّعِيَّة وبالتواضع(٢) للحق، فقد قَدِم عليه عُيَيْنَة بن حصن -وكان مِن كِبار قَومِه- فقال له: (هِيه يا ابْنَ الخَطَّاب): هذه كلمة استِنكَار وتلوُّم، وقال له: (إنَّكَ لَا تُعطِينَا الجَزْل، ولا تَحكُمُ فِينَا بالعَدْل)(٣): انظُر إلى

(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٢٨٦)، عن ابن عباس ﷺ.

(٢) التَّواضُع: إظهار التَّنزُّل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه. وهو من صفات المؤمنين، قال الله ﷻ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾[الفرقان:٦٣]، وقد أمر الله ﷻ نبيَّه ﷺ بالتواضع لأهل الإيمان ممَّن هُم على سُنَّته وهَدْيه ﷺ فقال: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء:٢١٥]، وجاء في "صحيح مسلم" من حديث عياض بن حمار ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: «...**وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَد**»، وذكر النبيُّ ﷺ أنَّ العبد لا يزداد تواضعًا إلَّا ازداد رِفعَةً عند الله ﷻ، ففي "صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**»، وقد كان السَّلَفُ -رضْوَان الله تعالى علَيهِم- أَشَدَّ الناس تواضعًا لله ﷻ، فقد جاء في "صحيح مسلم" عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ**»، فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ، قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ... الحديث.

(٣) هذا هو حال الخوارج بشتَّى أنواعِهِم، فكان الواجب عليهم أن يَبدَءُوا بإصلاح الداخل، فغالب الناس اليوم على العَهْد الأوَّل قبل الإسلام، فحاجتهم إلى التربية والتَّصفِيَة أشَدُّ من حاجتِهم إلى قتال العَدُو، فليس ثمَّت معصية إلَّا وارتكبها غالبُ أهل الإسلام كبارًا وصغارًا، ذكورًا وإناثًا، وَقَعَتِ النساءُ في أيدي المنظمات التنصيرية، فرُمِيَ الحجاب، واختَلَطْن بالرجال، فلم يُسمَع نُصْحُ الناصحين، =

هذا الرَّجُل يتكلَّم عن هذا الخليفة المشهور بالعدل بهذا الكلام مع أنَّ عُمَر ﵁ -كما قال ابن عباس ﵄-: (كَانَ جُلسَاؤُه القُرَّاء): القُرَّاء من أصحاب رسول الله ﷺ هم

= فَسَدَتِ القلوب والأبدان، فَسَدَتِ الأسواق، فَسَدَتِ البيوت، بل فَسَدَت المساجد وحصل فِيهَا الشِّركُ والبدع والخرافات، وليس ما يجري اليوم على أهل الإسلام من القتل والقتال والمِحَن والزلازل إلَّا جُزءٌ يَسِيرٌ من عقوبة الله ﷻ، وإلَّا فاليهود ليسوا بشيء، قال الله ﷻ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الروم:٤١]، وقال: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[الزخرف:٥٥]، ورُبَّما ازداد الناسُ عُتُوًّا ونفورًا والقول على الله بلا علم عند الفتن والمدلهِمَّات، كما قال الله: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام:٤٣]، ولن يُرفَع عنَّا ما بِنَا حتى نراجع ديننا، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد:١١]، وجاء عند أبي داود وصحَّحه الألباني في "الصحيحة" من حديث ابن عمر ﵄ مرفوعًا وفيه: **«سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعهُ عَنْكُمْ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»**، قال ابن القيم في "الداء والدواء" (١/ ١٨٠): ... فَإِنْ غيَّر المعصيةَ بالطاعة غيَّر اللهُ عليه العقوبةَ بالعافية، والذُّلَّ بالعز. اهـ

فرُبَّ ذَنْبٍ يرتكبه بعضهم يكون سببًا لحصول الضرر على الجميع وإن كان فيهم الصالحون، كما قال ﷺ: **«مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا»** رواه البخاري، وجاء في "الصحيحين" من حديث زينب ﵂ أنَّها قالت: قُلْتُ يَا رَسُولَ الله: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: **«نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ»**، هذا رسُول الله ﷺ -وهو أفضَلُ الخلق على الإطلاق- تُكسَر رَبَاعِيتُه ويُشَجُّ رَأسُه ويُدمَى وَجهُه بسبب مخالفةٍ يسيرة اجتهاديَّة من بعض الصحابة ﵃، وذلك حين نزلوا يوم أُحُد من الجبل بعد أن نهاهم النبيُّ ﷺ، فحصل فيه ما حصل حتى قُتِل سبعون من أصحاب النبي ﷺ.

فلا بُدَّ من التوبة والعودة إلى الله ﷻ والاستقامة على الكتاب والسنة، قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[الأعراف:٩٦]، وقال عزَّ مِن قائِل: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾[الجن:١٦]، ونَبذِ التفرُّق والتحزُّب تحت أيِّ مُسمًّى كان، قال الله ﷻ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[آل عمران:١٠٣]، وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم:٣١-٣٢]، قال العلَّامة الجامي ﵀ في بعْضِ مجالِسِه: الكفَّار لا يُبالُون بكثرة المسلمين اليوم؛ لأنهم يعلمون أنَّهم ليسوا جماعة، بل جماعات متناحِرة متنافِسَة في داخِلها يأكل بعضُها البعض؛ لذلك إذا أردنا أن يعزَّنا الله كما أعزَّ الأولين فَلْنَعُدْ إلى المنهج المحمَّدي، ولنترك المناهج كلَّها والجماعات كلَّها، ولنَعُدْ إلى جماعةٍ واحدة التي تسير على ما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه، وكفَى بالاختصار.اهـ

جلساؤه، سواء كانوا شيوخًا أو كُهُولًا أو شبابًا، يشاورهم ويدنيهم، وهكذا ينبَغِي لكلِّ أميرٍ أو خليفَة أن يكون جلساؤه الصالحين؛ لأنه إن قيّض له جلساء غير صالحين هَلَك وأَهلَكَ الأُمَّة، وإن يسَّر اللهُ له جلساء صالحين نفعَ اللهُ به الأُمَّة، فالواجب على وليِّ الأمر أن يختار من الجُلَساء أهلَ العِلْم والإيمان، وكان الصحابة رضي الله عنهم القرَّاء منهم هم أهل العلم؛ لأنَّهم لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلَّموها وما فيها من العِلْم والعَمَل.

لمَّا قال الرَّجُلُ هذا الكلام لعمر رضي الله عنه: (إنَّك لا تُعطِينَا الجَزْل ولَا تَحكُم فِينَا بالعدل) غَضِب رضي الله عنه غَضَبًا حتى كاد يُوقِع به، أي: يَضرِبه أو يَبطِش به، ولكن ابن أخي عُيينَة الحُر بن قيس قال له: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيِّه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ[1] وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ[2] وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[3][الأعراف:١٩٩]، وإنَّ هذا من الجاهلين، فوَقَف عُمَر ولم يتجاوزها؛ لأنه كان وقَّافًا عند كتاب الله رضي الله عنه وأَرضَاه، فوقف وما ضَرَب الرجل ومَا بطش به؛ لأجل الآية التي تُلِيَت عليه.

---

(١) وقد أمر الله ﷻ نبيه عليه السلام بالعفو والصفح فقال: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[المائدة:١٣]، وجاء في "البخاري" من حديث عَبْدالله بنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه أنه قَالَ: «**أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَأْخُذَ العَفْوَ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ**».

(٢) وهذا من واجبات الدين، وقد تساهَل فيه اليوم كثيرٌ من أهل الإسلام، وليس ما حصل للأُمَّة من الخَذِيلَة إلَّا بسبب تَركِهِم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد جاء عند الترمذي وحسَّنه العلامة الألباني في "صحيح سنن الترمذي"، من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ**».

(٣) والإعراض عمَّن يَجهَل أمْرَ دينِه المنشغل بدنياه مطلوب شرعًا، فبعضهم رُبَّما لا يَعرِفُ شَيئًا عن أمور دينه، وربَّما يجهل شروط الصلاة وأركانها وواجباتها ونحو ذلك، ومع ذلك يخوض في أمْرِ العامَّة، فمِثْل هذا يُعرَض عنه، قال الله ﷻ: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾[النجم:٢٩-٣٠].

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «يَؤُمُّ القَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي القِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ سِنًّا -وَفِي رِوَايَةٍ: سِلْمًا- وَلَا يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ»، رَوَاهُ مُسْلِم[(١)].

قال الإمام أبو الحسَن الهروي القاري في كتابه "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" (٣/ ٨٦٢): قوله: (يَؤُمُّ القَوْمَ): قال الطِّيبي: بمعنى الأمر، أي: لِيَؤُمَّهُمْ (أَقْرَؤُهُمْ): قال ابن الملك: أي: أَحْسَنهُم قِراءةً لكِتَابِ الله. اهـ

والأظْهَر أنَّ مَعناهُ: أكثرهم قراءةً، بمعنى أحفَظهم لِلقُرآن، كما ورد: «أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا»[(٢)]، قيل: إنَّما قدَّم النبيُّ ﷺ الأقرأ؛ لأنَّ الأقْرَأَ في زمانِه كان أفْقَهَ؛ إذ لو تعارض فَضْلُ القراءة فَضْلَ الفِقْه قُدِّم الأَفْقَهُ إذا كان يُحسِنُ من القراءة ما تَصِحُّ له الصلاة، وعليه أكثر العلماء، فيؤوَّل المعنى إلى أنَّ المراد أعلَمُهُم بكتاب الله؛ لأنَّ الفَقِيهَ يَعلَمُ ما يَجِب من القراءة في الصلاة؛ لأنَّه محصُور، وما يَقَع فيها من الحوادث غير محصُور، وقد يَعرِضُ للمصَلِّي ما يفسد صلاتَه وهو لا يعلم إذا لم يكن فقيهًا.

قوله: (فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ)[(٣)]: قال الطيبيُّ: أراد بها الأحاديث، فالأعلم بها كان هو الأَفْقَهَ في عهد الصحابة ﷺ. (فَإِنْ كَانُوا): أي: بعد استوائهم في القراءة (فِي السُّنَّةِ): أي: في العلم بها (سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً)، أي: انتقالًا من مكَّة إلى المدينة قبل الفتح، فمَنْ هاجَر أوَّلًا فشَرَفُهُ أكْثَر مِمَّن هاجَر بعده.

قال ابنُ المَلِك ﷺ: والمعتبر اليوم الهجرة المعنويَّة، وهي الهجرة من المعاصي،

---

(١) رواه مسلم برقم: (٦٧٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٤٣٠٢)، عن عمرو بن سلمة ﷺ.

(٣) وهذا فيه أن الله ﷻ يرفع العبد بقدر تمسكه بالسنة، فإذا كان الشارع الحكيم أمَرَنا أن نقدِّمه على غيره هنا فكيف به عند الله ﷻ، فينبغي للعبد أن يتمسك بالسنة وأن يتجنب البدع والأهواء بقدر ما يستطيع، فأكثرهم تمسُّكًا بالسنة أكثرهم درجة وأرفعهم منزلة عند الله ﷻ.

فيكون الأَوْرَع أَولَى[(١)]. اهـ

وينبغي للقارئ أن يكون وَرِعًا[(٢)] كَثِيرَ الصَّبْرِ[(٣)]، حَسَنَ الخُلُق[(٤)]

---

(١) وقد قلَّ العَمَل بهذا الحديث في زماننا، فالعبرة اليوم عند أكثر العامَّة حُسْنُ الصوت وإن كان القارئُ جاهلًا بالسُّنَّة أو مبتدعًا، وهذا عين الهلاك في الأُمَّة لو علِمُوا؛ إذ لو سُلِّمت المساجد لأمثال هؤلاء لحُسْنِ أصواتِهِم أو تساهُلِهِم في السُّنة اضطُرَّ إلى سؤالهم، فأَفتَوا بغير عِلْم، فضلُّوا وأضلُّوا، وحصل بذلك من الفتن والقلاقل ما اللهُ به عليم.

(٢) الوَرَعُ: قال ابنُ القيم ﷾ في كتابه «الفوائد» (١١٨): تَرْكُ مَا يُخْشَى ضَرَرُه فِي الْآخِرَة. وقِيلَ: تَرْكُ ما لا بأسَ به حَذَرًا ممَّا بِهِ بَأْس. والوَرَعُ خيرُ شيءٍ يَدِين به المرءُ ربَّه، بل هو ملاكُ الدِّين، فقد جاء في «صحيح الجامع الصغير» للعلامة الألباني ﷾ من حديث حذيفة بن اليمان ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: «**فَضْلُ العِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ العِبَادَة، وَخَيْرُ دِينِكُم الوَرَع**»، وجاء في «المشكاة» للألباني ﷾ من حديث عَائِشَةَ ﵂ أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ مَنْ سَلَكَ مَسْلَكًا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ سَهَّلْتُ لَهُ طَرِيقَ الجَنَّةِ، وَمَنْ سَلَبْتُ كَرِيمَتَيْهِ أَثَبْتُهُ عَلَيْهِمَا الجَنَّةَ، وَفَضْلٌ فِي عِلْمٍ خَيْرٌ مِنْ فَضْلٍ فِي عِبَادَةٍ، وَمِلَاكُ الدِّينِ الوَرَعُ**».

(٣) الصَّبْرُ: هو حَبْسُ النَّفس عن الجَزَع والتَّسخُّط، وحَبْسُ اللِّسان عن الشَّكوى، وحَبْسُ الجوارحِ عن التَّشويش. قال ابن تيميَّة ﷫ في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٩): قد ذَكَر اللهُ الصَّبرَ في كتابه في أكثر من تسعين موضعًا، وقرنه بالصَّلاة في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة:٤٥]، وجعل الإمامة في الدِّين مَورُوثَة عن الصَّبر واليقين بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[السجدة:٢٤]، وقد أمر الله عباده بالصبر في جميع أمورهم، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[آل عمران:٢٠٠]، وجاء في «البخاري» معلَّقًا أنَّ عمر بن الخطاب ﵁ كان يقول: (وَجَدْنَا خَيْرَ عَيْشِنَا بِالصَّبْر).

(٤) قال الماورديُّ ﷾ في كتابه «أدب الدنيا والدين» (٢٤٣): حُسْنُ الخُلُق: أن يكون سَهْلَ العَرِيكَة، لَيِّنَ الجانب، طَلِيقَ الوَجْه، قَلِيلَ النُّفُور، طَيِّب الكلمة. اهـ

وحُسْن الخُلُق سببٌ لنَيْل المحبَّة والسَّلامَة من شُرورِ الأعداء، بل يدل على عِظَم حَظِّ صاحبه، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[فصلت:٣٤-٣٥]، وبيَّن النبيُّ ﷺ أنَّ مَنْ حَسُنَ خُلُقُه يُكتَب له أجرُ الصائِم بالنَّهار القائِم بالليل، كما جاء في «صحيح سنن أبي داود» للألباني ﷾ من حديث عائشة ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ**»، بل ذكر ﷺ أنَّه ليس ثَمَّت شيء أثْقَل في الميزان عند الله ﷻ من حُسْن الخلق، فقد جاء في «صحيح سنن أبي داود» من حديث أبي الدرداء ﵁، أن النبيَّ ﷺ قال: «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي المِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الخُلُق**»، =

متجنِّبًا مَسَاوِئ الأخْلاق، كالغِيبَة(١) والنَّمِيمَة(٢) والقَطِيعَة(٣)

= وأخبر ﷺ أنَّه كَفِيلٌ ببيتٍ في أعلَى الجنَّة لمن حسن خلقه، فقد جاء في "الصحيحة" من حديث أبي أُمامَة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُه»**، بل ذكر ﷺ أنه ما بعثه الله ﷻ إلَّا لِيُتمِّمَ تعليمَ الناس حُسْنَ الخُلُق كما كان عليه الأنبياء قبله، فقد جاء في "الصحيحة" للألباني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: **«إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاق»**، وأخبر ﷺ أنَّ صاحب الخُلُق الحَسَن من خيار الناس وأكْمَلُ المؤمنين إيمانًا، ففي "الصحيحين" من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ قال: **«إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا»**، وجاء في "المشكاة" للعلَّامة الألباني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»**، وبِقَدْر ما عندك من حسن الخلق تنال محبة النبيِّ ﷺ والقرب من مجلسه ﷺ، فقد جاء في "الصحيحة" للعلَّامة الألباني من حديث جابر رضي الله عنه، أن النبيَّ ﷺ قال: **«إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُون»**، قَالُوا: قَد عَلِمْنا الثَّرثارُون والمُتشَدِّقُون، فَما المُتَفَيهِقُون؟ قال: **«المُتَكَبِّرُون»**.

(١) قال الجرجانيُّ -كما في "نضرة النَّعِيم"- (١١/ ٥١٦٣): الغِيبَة: ذِكْرُ مساوئ الإنسان في غَيبَتِه وهي فيه. والغِيبَة تكون غالبًا لِشِفَاء المغتاب غيظَه بذِكْر مساوئ مَن يغتابُه، أو الحَسَد، أو الاستهزاء والسُّخريَة والتَّحقِير ونحو ذلك. وقد نهى الله ﷻ عن الغيبة لِعِظَم ذَنْبها، فقال: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات:١٢]، بل جَعَل حُكْمَهَا كحُكْم مَن يأكُل لحْمَ أخِيهِ وهو مَيت، فقال: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[الحجرات:١٢]، والمغتاب يُعذَّب بغيبَتِه في قَبْره حتَّى يَلْقَى اللهَ ﷻ إلَّا أن يَعفُو اللهُ عنه، فقد جاء في "صحيح سنن ابن ماجه" للألباني رحمه الله من حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بقَبرَيْن فقال: **«إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ: أَمَّا أَحَدُهُمَا فَيُعَذَّبُ فِي البَوْل، وأَمَّا الآخَرُ فَيُعَذَّبُ فِي الغِيبَة»**، ولهذا ينبغي للمسلم أن يَصُونَ لسانَه عن أعراض الناس، قال ابنُ بطَّة في كتابه "الإبانة الكبرى" (٢/ ٥٩٦): أَصْوَنُ النَّاسِ لِنَفسِه أَحفَظُهُم لِلِسَانِه، وأَشْغَلُهُم بدينه، وأَتْرَكُهُم لِمَا لا يَعنِيه.

(٢) قال ابنُ مَنظُور -كما في "نضرة النعيم"- (١١/ ٥٦٦٥): النَّمُّ: التَّحرِيشُ والإغراء ورَفْع الحديث على وَجْه الإشاعة والإفساد. والنَّمَّام مِن شرار الخلق عند الله ﷻ يوم القيامة، فقد جاء عند "أحمد" وصحَّحه طبعة الرسالة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«تَجِدُ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ الله ذَا الوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْه»**، بل هي كبيرة من الكبائر توجب لصاحبها النَّار والعياذ بالله، كما ثَبَتَ في "صحيح مسلم" من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّات»**، أي: نَمَّام.

(٣) والقطيعة كبيرةٌ من كبائر الذنوب، تُوجِب لصَاحِبِها البقاءَ في النَّار والعياذ بالله، فقد جاء في "الصحيحين" =

والحَسَد[(١)] ...

= من حديث جُبَيْر بْنَ مُطْعِمٍ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ**»، قاطعُ أرحامِه مَلعُونٌ في الدنيا والآخرة ولا يُوفَّق في خَيرٍ ما دَامَ على ذَلك، قال الله ﷻ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾[محمد:٢٢-٢٣].

قال ابن القيم ﷺ -كما في "مختصر الصواعق المرسَلة" (٣٧٠)-: ولمَّا خَلَق ﷻ الرَّحِم واشتَقَّ لها اسمًا من اسمه، فأراد إنزالها إلى الأرض تعلَّقت به سبحانه، فقال: «**مَهْ!**»، فقَالَتْ: هَذا مَقَامُ العائِذ بكَ من القَطِيعَة، فقال: «**أَلَا تَرْضَيْن أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَن قَطَعَكِ؟**»، وهي متعلِّقة بالعرش لَهَا حَنْحَنَةٌ كحَنْحَنَةِ المغْزَل، وكان تعلُّقها بالعَرش رَحمةً منه بها، وإنزالها إلى الأرض رحمة منه بخلقه، ولما عَلِم -سبحانه- ما تلقَاه من نزولها إلى الأرض ومفارقتها لما اشتُقَّت منه رَحِمَهَا بتعلُّقها بالعرش واتصالها به. وقوله: «**أَلَا تَرْضَيْن أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَن قَطَعَكِ؟**»: ولذلك كان مَن وَصَل رَحِمَه لِقُربه من الرَّحمن ورعاية حُرْمَة الرَّحِم قد عمَّر دنيَاه، واتَّسَعت له معيشتُه، وبُورِك له في عمره، ونُسِيءَ له في أثره، فإن وَصَل ما بينه وبين الرحمن ﷻ مع ذلك وما بينه وبين الخلق بالرحمة والإحسان تَمَّ له أمرُ دنياه وأُخرَاه، وإن قَطَع ما بينه وبين الرَّحِم وما بينه وبين الرحمن أفسد عليه أمر دنياه وآخرتِه، ومحق بركة رحمته ورزقه وأثره، كما قال ﷺ: «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ لِصَاحِبِهِ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يُدَّخَرُ لَهُ مِنَ العُقُوبَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ البَغْي وَقَطِيعَةِ الرَّحِم**»، فالبَغْيُ: معامَلَة الخلق بضِدِّ الرحمة، وكذلك قطيعة الرَّحِم، وإنَّ القوم ليَتَوَاصَلُون وهُم فَجَرَةٌ فتكْثُر أموَالُهم ويكثُر عدَدُهم، وإنَّ القَوْم ليَتَقَاطَعُون فتَقِلُّ أموَالُهم ويَقِلُّ عددُهم، وذلك لِكَثْرَةِ نصيبِ هؤلاءِ من الرحمة وقِلَّةِ نَصِيبِ هؤُلَاء مِنْهَا.

(١) الحَسَدُ: عرَّفه الجرجاني في كتابه "التعريفات" (٨٧) بقوله: الحَسَد: تَمَنِّي زوال نعمة المحسود إلى الحاسد. وقال الماورديُّ في كتابه "أدَب الدنيا والدين" (٢٧٠): حَقِيقَةُ الحَسَد: شِدَّة الأَسَى على الخيرات تكون للنَّاس الأفاضل. وقال المناوي في كتابه "التوقيف" (١٣٩): الحَسَد: تمنِّي زوالِ نعمةٍ عن مستَحِقٍّ لها. وقد نُهِينَا عن ذلك كثيرًا، فقد جاء في "الصحيحين" من حديث أنس بن مالك ﷺ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لَا تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا**»، ولَيْس ثمَّتَ داءٌ يُصِيبُ الأُمَّة أشَد عليها من الحسد؛ لذا قال ﷺ -كما في "صحيح سنن الترمذي" للألباني من حديث الزبير بن العوام ﷺ-: «**دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ، هِيَ الحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ**»، وهذا ما نعانيه اليوم، كثُر الخلاف بين أوسَاط المسلمين، فرُبَّما تَجِدُ في البلد الواحد أكثر من خَمْسِ طوائف كل طائفة تدعو الناس إلى ما هي عليه، وليس لَهُم هَدَفٌ في الحقيقة سِوَى مطامِع دنيويَّة، ولو بإزهاق الأنفس وتدمير الأوطان.

والحَاسِد يكون عائِنًا شريرًا يُصِيبُ الناس بعينه، فيَسَبِّب لهم الأذى والأمراض؛ لذا وَجَب على الناس أن يَلتَزِمُوا قراءة الصحيح من أذكار الصباح والمساء وبعد الصلوات وعند النوم؛ حتَّى لا يصابوا بشيء من ذلك، فقد جاء عند "مسلم" من حديث أَبِي سَعِيدٍ ﷺ، أَنَّ جِبْرِيلَ ﷺ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ =

والفَخْر[(١)] وأذِيَّة الجَار[(٢)] والجُلوس في المَقَاهي

= فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: «**بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ**»؛ فإنَّ المصاب وإن عُولِج لا يعود إلى ما كان عليه قَبْلُ من الصِّحَّة، فيَبْقَى فيه أثرُ العين، هذا إن نَجَح العلاج فيه فكيف إذا لم يَنْجَحْ؟. وإيَّاك والغفلة عن ذكر الله ﷻ وقراءة القرآن، فإنها من أسباب استيلاء الشياطين على الإنسان وكثرة الوسواس والهموم.

ولِلحَاسِدِ أَوصَاف: مِن أوصَافِه: أنَّه يَكرَهُ ويتضايق مِن رُؤيَتِك والجلوس معك وذِكْر محاسِنِك ونحوِ ذلك، وكلَّما زادك اللهُ رزقًا ازداد غيظًا وحَنَقًا وإن أدَّى إلى تَلَفِه وهلاكِه، وحَالُه كما قال الشاعر:

للهِ دَرُّ الحَسَـــدِ مَـــا أَعْدَلَـــهُ بَـــدَأَ بِصَـــاحِبِهِ فَقَتَلَـــهُ!

ولِلمَحسُودِ أيضًا أوْصَاف: من أوصافِه: أنَّه يُحِب العُزلَةَ وتَقِلُّ شَهيَّتُه للطعام والشراب ويزداد كُرهًا لما كان يُحِبُّه قَبْل، كالزوجة والأولاد والعمل ونحو ذلك، وربَّما حصَل له مَرَضٌ أو تَلَفٌ في بعض الأعضاء.

وأمَّا العِلَاجُ فكَثِير: مِنهَا: وضوء الحاسد أو شيء مِن أثره. ومنها: قراءة المعوذتين والإخلاص وآية الكرسي والفاتحة وأوَاخِر سورة البقرة ونحو ذلك مما تيَسَّر من القرآن، فهذه تُقرَأ في ماء أو في عَسَل جيِّدٍ أو في زيتِ الزيتون، ويُعطَى للمريض، ولا يلزم الذهابُ إلى قُرَّاء زمانِنا، فأغلبهم أصحابُ دنيا إلَّا ما رَحِم الله، وهذا العلاج ينفع أيضًا مَن أُصِيبَ بالعين والمَسِّ والسِّحْر ونحو ذلك، والأصل في العين والحسد أنهما متقاربان، ولنا أن نقول: كُلُّ حَاسِدٍ عائِن، ولَيْسَ كُلُّ عائِنٍ حاسِد.

(١) نهى الله ﷻ عن هذه الخصلة الذميمة فقال عزَّ من قائل: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[لقمان:١٨]، وقد ذكر النبيُّ ﷺ أنَّ الفخر ليس من آداب أهل الإسلام، بل هو مِن أمورِ الجاهلية، كما في "صحيح مسلم" من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ**».

(٢) الجَارُ: مَن يَقرُب مَسكَنُه منك. واختَلَف العلماء في حَدِّه: فقيل: مَن صلَّى معك صلاة الصُّبح في المسجد فهو جَارٌ. وقيل: أَربَعُونَ دارًا مِن كُلِّ جانب. وقيل غير ذلك. وقد أوصى الله ﷻ بالجار فقال: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[النساء:٣٦]، بل لم يزل جبريل عليه السلام يكرِّر على النبيِّ ﷺ حق الجار حتى خشي النبي ﷺ على أُمَّتِه، فقد جاء في "الصحيحين" من حديث ابن عمر وعائشة رضي الله عنهم، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»، أي: يجعل له نصيبًا من الإرث. وأذيَّة الجار سببٌ من أسباب دخول النار والعياذ بالله، فقد جاء في "صحيح الأدب المفرد" للألباني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبيِّ ﷺ: يا رسولَ الله! إنَّ فلانة تقوم الليل وتصوم النهار، وتفعل، وتَصَدَّق، وتؤذي جيرانها بلسانها؟ فقال رسول الله ﷺ: =

والسَّمسَرة[(١)]، ونحوها.

قوله: (وَلَا يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ): أي: في مَظْهَر سَلطَنَتِه ومَحَلِّ ولايته، أو فيما يملكه، أو في محلٍّ يكون في حُكمِه، فإذا أَمَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ في سلطانه أفضَى ذلك إلى تَوهِينِ أَمْرِ السَّلطَنَة، وخَلْعِ رِبْقَة الطاعة، وكذلك إذا أمَّه في قومِه وأهلِه أدَّى ذلك إلى التباغُض والتقاطع وظهورِ الخلاف الذي شرع لدفعه الاجتماع، فلا يتقدَّم رجلٌ على ذي السلطنة، لا سيما في الأعياد والجمعات، ولا على إمام الحيِّ وربِّ البيت إلَّا بالإذن. قاله الطيبي. (وَلَا يَقْعُدْ): أي: الرَّجُل (فِي بَيْتِهِ) أي: بيت[(٢)]

= «لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، وله عنه أيضًا أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»، بل عدَّ النبيُّ ﷺ أذيَّة الجار من علامات الساعة، فقد جاء في "صحيح الأدب المفرد" للألباني من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ وَأَخَاهُ وَأَبَاهُ».

(١) اعلم -رحمكَ الله- أنَّ الأصل في السمسرة -أي: العمل في الدلالة- الإباحة، إلَّا أنها صارت في هذه الأزمنة مَوطِن شُبهَة، فلا تكاد تجد سِمْسَارًا يصدق في كلامه إلَّا ما رحم ربِّي، فرُبَّما عَرَض عليك بَيْعَ شيءٍ ليس معروضًا للبيع، أو سِعرًا لا حقيقة له، أو يكون الشيء متنازَعًا فيه، من أجْلِ أن يُوقِعَك في شيء مَا في رأسِه، ولهم في ذلك أعوان يجعلون الباطل حقًّا والحقَّ باطلًا؛ حتى يتِمَّ البيع أو الشراء، ولذا قال شيخنا العلامة النحوي أبو بلال الحضرمي حَفِظَهُ اللهُ: الأصل في هذا العمل الكذب.

(٢) البيوت نعمة من نِعَم الله ﷻ لا يعرف أهميَّتها إلَّا مَن فقدها، قال الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾[النحل:٨٠]، وقد أمر النبيُّ ﷺ بإعمارها بطاعة الله ﷻ حتى لا تكون سَكَنًا للشياطين، فتُصِيب أولادنا بمَسٍّ أو عَيْن أو نحو ذلك، فقد جاء في "صحيح أبي داود" للعلامة الألباني ﵀ من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»، الشاهد فيه: (لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا)، أي: صلُّوا فيها النوافل، وجاء في "صحيح سنن ابن ماجه" للعلامة الألباني من حديث عَبْدِالله بْنِ سَعْدٍ ﷺ، أن رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَأَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصَلِّيَ فِي الْمَسْجِدِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً»، وجاء عند "مسلم" من حديث أبي هريرة ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»، والبيوت نجاةٌ من الشرور والفتن لاسيما في هذه الأزمنة، فقد جاء في "الصحيحة" للعلامة الألباني من حديث عقبة بن عامر ﷺ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «امْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ»، بل عدَّ النبيُّ ﷺ =

الرجل الآخر (عَلَى تَكْرِمَتِهِ)، كسجَّادَتِه أو سَرِيرِه. (إِلَّا بِإِذْنِهِ): قال ابنُ المَلِك: متعلِّقٌ بجميع ما تقدَّم.

وَللبُخَارِيِّ[1] عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنهما، أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ؟»، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْد.

قال الإمام أبو الحسَن الهَرَوي القَاري في كتابه "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" (٣/ ٢٠٣): قوله: (فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ): أي: من الكَفَن؛ للضرورة، ولا يلزم منه تلاقي بَشرَتِهما؛ إذ يمكن حَيْلُولَتُهُمَا بنَحْوِ إِذْخِرٍ، مَعَ احْتِمَالِ أَنَّ الثَّوْبَ كَانَ طَوِيلًا فأُدْرِجَا فِيهِ، ولم يُفصَل بينهما لكَونِهما في قَبْرٍ واحِد، والله أعلم. قال الطيبيُّ: أي: في واحِدٍ، لا في ثوبٍ واحِد؛ إذ لا يجوز تجريدهما بحيث تتلاقَى بَشرَتُهما، بل ينبغي أن يكون على كُلِّ واحِدٍ منهما ثيابه المُتلطِّخَة بالدَّم وغير المُتلطِّخَة، ولكن يُضجَع أحدُهُما بجَنْب الآخَر في قَبْرٍ واحِد، وهذا مُستَفَاد من قولِهِ: (ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا)، أي: حِفظًا أو قراءةً (لِلْقُرْآنِ؟ فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ) أي: ذلك الأحَد (فِي اللَّحْد)، أي: الشّق في عرض القبر جانب القبلة؛ فإنَّ القرآن إمامٌ لكل مسلم، فيكون كذلك قارئُه مستحِق التقدُّم في الدنيا والأخرى والمراتب العُليَا في جَنَّة المأوى.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه[2]، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ[3]، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الغَالِي فِيهِ وَالجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ»، حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُد.

= البيوت من أعظم النعم، فقد جاء في "الصحيحة" للعلَّامة الألباني من حديث عليٍّ وابنِ عُمَر وغيرهما رضي الله عنهم أن النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سَرَبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا».

(١) برقم: (١٣٤٣).

(٢) **صحيح**: صححه الألباني في "صحيح سنن أبي داود" برقم: (٤٨٤٣).

(٣) وهذا فيه وجوبُ إكرامِ وتوقِير وإجلالِ كبير السِّنِّ من أهل الإسلام، فقد جاء في "صحيح سنن أبي =

قال الإمام أبو الحسن الهروي القاري في كتابه "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" (٨/ ٣١١٤): قوله: (**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ**): أي: تعظيمه وتكريمه(١). (**إِكْرَامَ**

= داود" للعلامة الألباني ﵀، من حديث عبدالله بن عمرو ﵄، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»، وجاء في "صحيح الأدب المفرد" للألباني من حديث أَبِي أُمَامَةَ ﵁، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «**مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُجِلَّ كَبِيرَنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»، بل ذكر النبي ﷺ أن البركة إنما تكون مع الأكابر، ثبت في "صحيح الترغيب والترهيب" من حديث ابن عباس ﵄، أن رسول الله ﷺ قال: «**الْبَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمْ**»، وما حصَل ما حصَل من الشَّر إلَّا بعد أن تُرِك وأُهمِل كبارُ السِّن، وتصدَّر الصغار بآرائهم، انظروا إلى أحوالنا كم تَسمع من القتل والقتال وكم تَرى من الفتن، بل وكم تَسمع من الفضائح حتى على مستوى مدارس البنين بل والبنات، لاسيما بعد المرحلة السابعة والثامنة، كل ذلك بسبب التصرُّف الفردي وعدم العودة إلى كبار السن. وكبير السن له نظرات بعيدة لا يدركها صغار السن، فينبغي العناية به والجلوس معه وإدخال السرور عليه وطلب الدعاء منه.

ونصيحتي لكبير السن أن يتقيَ الله ﷻ وأن يعتني بتربية أولاده، وأن يراقب تصرفاتهم، سواء في أدبهم أو دينِهم أو دنياهم، كقيادتهم للسيارة أو الدراجة النارية، أو بيعهم وشرائهم، أو نحو ذلك، وأن يعلِّمهم شيئًا من الكتاب والسنة على فهم سلف الأمَّة، فلا يترك الحبل على الغارب، فالولد الجاهل لا ينفع نفسه فضلًا عن أن ينفع غيره، ولهذا كان رسول الله ﷺ يعتني بهذا الجانب كثيرًا، بل كان يذهب عند فاطمة ويتعاهدها وقد تزوَّجت، فقد جاء في "الصحيحين" من حديث عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﵁، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ لَيْلَةً، فَقَالَ: «**أَلَا تُصَلِّيَانِ؟**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَنْفُسُنَا بِيَدِ الله، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلٍّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[الكهف:٥٤]، بل كان ﷺ يعتني بصغار السن عمومًا، كما في "الصحيحين" من حديث عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ قال: كُنْتُ غُلَامًا فِي حِجْرِ رَسُولِ الله ﷺ وكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**»، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ. وجاء في "صحيح سنن الترمذي" للعلامة الألباني من حديث ابن عباس ﵄ قَالَ: كُنْت خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُك كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْك، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَك، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْك، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»، والولد إمَّا عدوٌّ لك وإمَّا صديق، كما قال ابنُ قتيبة في "عيون الأخبار" (٣/ ١٠٨): كان يُقالُ: ابنُكَ رَيحانُكَ سَبْعًا، وخَادِمُك سَبْعًا، ثُمَّ عَدُوٌّ أو صديق. وهذا بناء على تربيتِك منذ أوَّل وهْله.

(١) والمصدر مضاف إلى الفاعل أو المفعول. قاله ابنُ الملك، والظاهر هو الثاني.

ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ القُرْآنِ): أي: إكرام كبير السن المسلم وإكرام قارئ كتاب الله وحافظه ومفسِّره. (**غَيْرِ الغَالِي فِيهِ**): بالجر، أي: غيرِ المجاوز عن الحَدِّ لفظًا ومعنًى، كالمُوَسوِسين والشَّكَّاكِين، أو المُرَائِين، أو الخَائِن في لَفظِه بتَحرِيفِه كأكثَر العوام، بل وكثيرٍ ممَّن يدَّعي العلم، أو في معناه بتأويله الباطل كسائر المبتدعة[(١)].

(**وَالجَافِي عَنْهُ**)، أي: وغير المتباعد عنه المُعرِض عن تلاوتِه وأحكام قراءتِه وإتقان معانيه والعملِ بها فيه. وقيل: الغلوُّ: المبالغة في التجويد، أو الإسراع في القراءة بحيث يمنعه عن تدبُّر المعنى، والجفاءُ: أن يَترُكَه بعدمَا علِمَه لاسيَّما إذا كان نسِيَه، فإنَّه عُدَّ من الكبائر، ولِذَا قِيلَ: اشْتَغِلْ بِالْعِلْمِ بِحَيْثُ لَا يَمْنَعُكَ عَنِ العَمَلِ، واشْتَغِلْ بِالْعَمَلِ بِحَيْثُ لَا يَمْنَعُكَ عَنِ الْعِلْمِ.

قوله: (**وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ**): إكرامُه: طاعتُه ما لم يأمُر بكُفْر بواح؛ لما جاء في "الصحيحين" عن ابن عمر ﵄ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ**»، ولا يعني هذا أنَّنا نقاتِله أو نخرج عليه؛ لما جاء في "صحيح مسلم" عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ﵂، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**سَتَكُونُ أُمَرَاءُ، فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ**»، قَالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «**لَا، مَا صَلَّوْا**». وله أيضًا

---

(١) أَقوَالُ السَّلَف في أهْلِ البِدَع:

• قال صاحِبُ كتاب "قوت القلوب" (١/ ٢٨٦): كان الإمام أحمد بن حنبل ﵀ قد أكثَر عن عبيدِالله بن موسى العبسي، ثُمَّ بلغه عنه أدْنَى بدعة -قيل: إنَّه كان يُقدِّم عليًّا على عثمان، وقيل: بل ذكر معاوية بسوءٍ- فانصرف أحمدُ ومزَّق جميعَ ما حَمَل عنه ولم يُحدِّث عنه شيئًا.

• قال فضيل بن عياض ﵀: مَن جَلَس إلى صاحِب بدعة فاحذروه. وقال ﵀: مَن أحَبَّ صاحب بدعة أحبَطَ اللهُ عملَه، وأخْرَج نورَ الإسلامِ من قلبه. وقال ﵀: إذا رأيت مبتدعًا في طريقٍ فخُذْ في طريقٍ آخَر، ولا يُرفَع لصاحب البدعة إلى الله ﷻ عمَل، ومَن أعانَ صاحِبَ بدعة فقد أعان على هَدْمِ الإسلام. وقال ﵀: مَن جَلَس مع صاحب بدعة لم يُعطَ الحكمة. وقال: مِن علامةِ البلاء أنْ يَكُونَ الرَّجُل صاحِبَ بدعة. "تلبيس إبليس" (١٥).

• قال ابن القيِّم ﵀: القلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرَضَت عن السُّنن. "إغاثة اللهفان" (١/ ٢١٣).

عن عوف بن مالك ﵁، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: **«خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»**، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: **«لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»**، وجاء في "الصحيحين" عن عبدالله بن مسعود ﵁ قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ الله ﷺ: **«إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا»**، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: **«أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ، وَسَلُوا اللهَ حَقَّكُمْ»**، ولهما عن أنس بن مالك ﵁، أن النبيَّ ﷺ قال: **«إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً شَدِيدَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوُا اللهَ وَرَسُولَهُ عَلَى الحَوْضِ»**، قَالَ أَنَسٌ ﵁: فَلَمْ نَصْبِرْ، أي: على الأَثَرَة كما أمرنا رسول الله ﷺ، فحصل إثرَهَا ما حصل من الفتن والقتل والقتال وضيق العيش.

وجاء في "الشريعة" للآجُرِّي برقم: (١٤٧٠)، عَنْ زَيْدِ بْنِ يُثَيْعٍ، قَالَ: تَجَهَّزَ أُنَاسٌ مِنْ بَنِي عَبْسٍ إِلَى عُثْمَانَ ﵁، فَنَهَاهُمْ حُذَيْفَةُ وَقَالَ: مَا سَعَى قَوْمٌ إِلَى ذِي سُلْطَانِهِمْ فِي الأَرْضِ لِيُذِلُّوهُ إِلَّا أَذَلَّهُمُ اللهُ ﷻ قَبْلَ أَنْ يَمُوتُوا).

لكن ينبغِي لأهل العلم النُّصح له سِرًّا وعدم الخوف في الله لومة لائم؛ لما جاء "الصحيحين" من حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﵁، قَالَ: بَايَعْنَا رَسُولَ الله ﷺ عَلَى السَّمْعِ والطَّاعَةِ فِي المَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ، وأَنْ لَا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي الله لَوْمَةَ لَائِمٍ(١)، أمَّا ما نراه اليوم من الكلام والطعن فيه على

(١) قال العلامة الألباني ﵀ في "الصحيحة" (٧/ ١٢٤٠): ... ثمَّ إنَّ في هذا الحديث فوائدَ ومسائِل فقهيَّة كثيرة تكلَّم عليها العلماء في شروحهم، وبخاصَّة منهم الحافظ ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري"، والذي يهمنِي منها هنا أنَّ فيه رَدًّا صريحًا على الخوارج الذين خرجُوا على أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب ﵁؛ فإنهم يَعلَمُون دون أيِّ شَكٍّ أو رَيْب أنَّه لم يروا منه كفرًا بواحًا، ومع ذلك استحلُّوا قتالَه وسَفْكَ دَمِه هو ومَن معه من الصَّحَابة والتابعين، فاضطر ﵁ لقتالِهم واستئصالِ شأفتِهم، فلم يَنجُ منهم إلَّا القليل، ثم غدروا به ﵁ كما هو معروف في التاريخ. والمقصود أنهم سَنُّوا في الإسلام سنة سيئة، وجعلوا الخروج على حُكَّامِ المسلمين دينًا على مَرِّ الزمان والأيام، رغم تحذير النبيِّ ﷺ منهم في =

المنابر والطرقات ومواقع التواصل ونحو ذلك ومعارضتِه والخروجِ عليه عَلَنًا فهذا من أُمُور الجاهلية التي لا تُحمَد عُقبَاهَا، ففي "الصحيحين" من حديث عبدالله بن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»**.

بل أمَر النبيُّ ﷺ بطاعة وليِّ الأمر ولو كان ذا غايةٍ في الدناءة والقُبْح في الخلق والخليقة؛ حقنًا لدماء المسلمين وحِفاظًا على البلاد وأمنِها(١)، ففي "الصحيحين"

= أحاديث كثيرة، منها: قوله ﷺ: **«الخَوَارِجُ كِلَابُ النَّارِ»**، ورغم أنهم لم يروا كفرًا بواحًا منهم [أي: من حُكَّام المسلمين]، وإنَّما ما دون ذلك مِن ظُلْمٍ وفُجُورٍ وفِسْق، واليوم -والتاريخ يُعِيدُ نفسَه كما يقولون- فقد نبتَت نابتةٌ من الشَّباب المسلم، لم يتفقهوا في الدين إلَّا قليلًا، ورأوا أن الحُكَّام لا يحكمون بما أنزل الله إلَّا قليلًا، فرأوا الخروج عليهم دون أن يَستَشِيرُوا أهلَ العِلْم والفقه والحكمة منهم، بل ركبوا رُؤوسَهُم، وأثاروا فتنًا عمياء، وسفكوا الدماء في مصر وسوريا والجزائر [وفلسطين واليمن وغيرها من الدول الإسلامية]، وقبل ذلك فتنة الحرم المكِّي، فخالفوا بذلك هذا الحديث الصحيح الذي جرى عليه عمل المسلمين سلفًا وخلفًا، إلَّا الخوارج.

ولمَّا كان يَغلِب على الظَّنِّ أنَّ في أولئك الشباب مَن هو مُخلِص يبتغي وجْهَ الله، ولكنَّه شُبِّهَ له الأمر أو غُرِّر به، فأنَا أريد أن أوجِّه إليهم نصيحةً وتَذكِرَة يتعرَّفُون بها خطأهم، ولعلهم يهتدون:

فأقُولُ: مِن المعلوم أنَّ مَا أُمِر به المسلم من الأحكام مَنُوطٌ بالاستطاعة حتى ما كان مِن أركان الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[آل عمران:٩٧]، وهذا من الوضوح بمكان؛ فلا يحتاج إلى تفصيل، والذي يحتاج إلى التفصيل إنما هو التذكير بحقيقتين اثنتين: الأُولَى: أنَّ قتال أعداءِ الله -من أيِّ نوعٍ كان- يتطلَّب تربيةَ النفس على الخضوع لأحكام الله واتِّباعها، كما قال ﷺ: **«المُجَاهِدُ: مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ»**. والأُخرَى: أنَّ ذلك يتطلَّب الإعداد المادِّي والسلاح الحربي الذي يَنكَأُ أعداء الله، فإن الله أمرَ به أميرَ المؤمنين فقال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[الأنفال:٦٠]، والإخلال بذلك مع الاستطاعة إنما هو من صفات المنافقين، ولذلك قال فيهم ربُّ العالمين: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً﴾[التوبة:٤٦]، وأنا اعتقد جازِمًا أنَّ هذا الإعداد المادِّي لا يستطيع اليوم القيام به جماعة من المؤمنين دون عِلْمٍ من حُكَّامِهم كما هو معلوم، وعليه: فقتال أعداءِ الله من جماعةٍ مَا سابقٌ لأوانِه، كما كان الأمرُ في العهد المكِّي، ولذلك لم يؤمروا به إلَّا في العهد المَدَنِي، وهذا هو مقتضى النَّصِّ الرباني: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة:٢٨٦]، وعليه: فإنِّي أنصَحُ الشباب المتحمِّس للجهاد والمُخلِص حقًّا لرَبِّ العباد أن يلتفتوا لإصلاح الداخل، وتأجيل الاهتمام بالخارج الذي لا حيلة فيه... إلى آخره.

(١) فنعمة الأمن ليس يعدلها شيء، ولنتأمَّل جميعًا ما حصل لإخواننا الذين سُلب منهم الأمن والأمان =

-واللَّفظ للبخاري- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**».

ولا يجوز سَبُّه وشَتمُه في المجالس عَلَنًا كان ذاك أو سِرًّا؛ لما جاء في "السُّنَّة" لابن أبي عاصم وصحَّحه الألباني ﷺ، من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: نَهَانَا كُبَرَاؤُنَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالُوا لَنَا: لَا تَسُبُّوا أُمَرَاءَكُمْ وَلَا تَغْشَوْهُمْ وَلَا تبغِضُوهُمْ، واتَّقُوا اللهَ واصْبِرُوا فَإِنَّ الْأَمْرَ قَرِيبٌ. وعَن أبي بكرة ﷺ أنه قال: مَنْ أَجَلَّ سُلْطَانَ الله أَجَلَّهُ الله يَوْمَ القِيَامَةِ.

قال ابنُ حَزْم: اتَّفقُوا على إيجاب توقِير أهل القرآن والإسلام والنبيِّ ﷺ، وكذلك الخليفة والفاضل والعالم [وذُو الشَّيبَة المُسْلِم].



= بسبب الخروج على ولاة أمورهم كيف صاروا بعد ذلك، فرُبَّما خرجت المرأة لقضاء حاجتها فلا تجد موطنًا يسترها إلَّا تحت شجرة أو نحوها، فالأمن نعمة من الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾، وكأنَّ قائلًا قال: لماذا؟ فأجاب الله بقوله: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[قريش:٣-٤]، ولِعِظَم شأنِ الأمن والأمان كان أوَّلَ شيءٍ سأله إبراهيم ﷺ ربَّه بعد بناء البيت، قال الله ﷻ حكايةً عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا﴾[البقرة:١٢٦]، ومحاربة الأمْن وذهابه يُعدَّ عقوبة من الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[النحل:١١٢]، فينبغي علينا أن نحافظ على هذه النعمة التي لا نستطيع أن نعمل شيئًا إلَّا بها، كيف يتسنَّى لنا التلذُّذ بطاعته -سبحانه- في بيوته، وهكذا الذهاب إلى العمل والعودة، والطمأنينة والهدوء في بيوتنا ونحو ذلك إن افتقدنا هذه النعمة؟! نسأل الله السلامة والعافية.

٣- بَابُ وُجُوبِ تَعَلُّمِ القُرْآنِ وَتَفَهُّمِهِ وَاسْتِمَاعِهِ وَالتَّغْلِيظِ(١) عَلَى مَنْ تَرَكَ ذَلِكَ

وَقَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾[الإسراء:٤٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[الأنفال:٢٢]، وقوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[طه:١٢٤] الآيَة.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: قال الشِّنقيطِيُّ في «أضواء البيان» (٣/ ١٦٠): بيَّن جَلَّ في هذه الآية الكريمة أنَّه جعَل على قلوب الكفار أَكِنَّة -جمع (كِنَان)، وهو ما يَستُر الشيء ويُغطِّيه ويُكِنُّه- لئلَّا يَفقَهُوا القرآن، أو كَرَاهَةَ أن يفقهوه؛ لحَيْلُولَة تلك الأكِنَّة بين قلوبهم وبين فِقْه القرآن، أي: فهم معانيه فَهْمًا ينتفع به صاحبه، وأنَّه جعَل في آذانهم وَقْرًا، أي: صَمَمًا وثقلًا؛ لِئلَّا يسْمَعُوه سماعَ قَبُولٍ وانتفاع.

وبيَّنَ في مَوَاضِعَ أُخَر سَبَبَ الحَيْلولة بين القلوب وبين الانتفاع به، وأنَّه هو كُفْرُهُم، فجازاهم الله على كفرهم بطمس البصائر وإزاغة القلوب والطَّبْع والخَتْم والأكِنَّة المانعة مِن وُصُول الخير إليها، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[الصف:٥] الآية، وقوله: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾[النساء:١٥٥]، وقوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[الأنعام:١١٠]، وقوله: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾[البقرة:١٠] الآية، وقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ

(١) قوله: (والتَّغلِيظ) هنا: فيه رَدٌّ على قاعدة كفريَّة ماسونيَّة، وهي قاعدة: (نتَعَاوَنُ على مَا اتَّفقْنَا عَلَيْه، ويَعذُر بعضُنا بعضًا فيَما اختلفنَا فيه)، وهي في الحقيقة تحكيمٌ للكتاب في بعضٍ وتَرْكٌ له في بعض، لاسيَّما الجملة الثانية منها، وحاصِلُها: أنَّنا لا نُنكِرُ على أحَدٍ مهما كان خطؤه ما دام في دائرة الإسلام إلَّا في أمورِ المنازعات الحقوقيَّة، وأنَّ النَّاسَ أحرارٌ في عقائدهم وتصرُّفاتهم، وهذا عينُ الدَّجَل والكُفْر والإلحاد، فلو طَبَّق أحدُنا هذه القاعدة في بيتِه لحَصَل فيه من الفساد ما الله به عليم، فكيف لو طُبِّقَت في أُمَّةٍ بأَسْرِها، فتخرج وتعود الزوجة متى شاءت، والبنت والولدُ مثلها، ودَعَا مَن شاء إلى ما شاء، حُرِّيَّة مطلقة لا تتقيَّد بشيء، ولا صِلَةَ لها قَطُّ بالدين، نسأل الله السلامة والعافية.

رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾[التوبة:١٢٥]، إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾: قال العلَّامة السعدي رحمه الله في "تفسيره" (٣١٨): يقول تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ﴾ مَن لم تُفِدْ فِيهِم الآيات والنُّذُر، وهم ﴿ٱلصُّمُّ﴾ عن استماع الحق ﴿ٱلْبُكْمُ﴾ عن النُّطقِ به، ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ما ينفعهم ويُؤْثِرُونَه على ما يضرُّهم، فهؤلاء شَرٌّ عند الله من جميع الدَّواب؛ لأنَّ الله أعطاهم أسماعًا وأبصارًا وأفئدةً ليستعمِلُوها في طاعة الله، فاستعملوها في معاصِيه وعدِمُوا بذلك الخير الكثير، فإنهم كانوا بصَدَد أن يكونوا من خِيَار البريَّة، فأبوا هذا الطريق واختاروا لأنفسهم أن يكونوا من شَرِّ البريَّة.

والسَّمع الذي نَفَاه اللهُ عنهم سَمْعُ المعنى المؤثِّر في القلب، وأما سَمْعُ الحُجَّة فقد قامت حُجَّة الله تعالى عليهم بما سَمِعُوه من آياتِه، وإنما لم يسمعهم السماع النافع، لأنَّه لم يَعْلَمْ فيهم خيرًا يصلحُون به لسَماع آياته.

وقوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾: قال العلَّامة السعدي في "تفسيره" (٥١٥): أي: كتابي الذي يتذكَّر به جميع المطالب العالية، وأن يتركه على وجْهِ الإعراض عنه، أو مَا هو أعظم من ذلك، بأن يكون على وجه الإنكار له، والكفر به. ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾: أي: فإنَّ جزاءَه أنْ نَجْعَل مَعِيشَتَه ضيِّقَة مشقة، ولا يكون ذلك إلَّا عذابًا.

وفُسِّرت (المعِيشَة الضَّنْك) بعذاب القبر، وأنَّه يُضيَّق عليه قبره، ويُحصَر فيه ويُعذَّب؛ جزاءً لإعراضِه عن ذِكْر ربِّه، وهذه إحدى الآيات الدالة على عذاب القبر. والثانية قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾[الأنعام:٩٣] الآية. والثالثة قوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾[السجدة:٢١]. والرابعة قوله عن آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾[غافر:٤٦] الآية.

والَّذي أَوجَب لِمَن فسَّرهَا بعذاب القبر فقط من السلف وقَصَرها على ذلك -واللهُ أعلَم- آخِرُ الآية، وأنَّ اللهَ ذكَر في آخرها عذاب يوم القيامة، وبعض المفسرين يَرَى أنَّ المعيشة الضنك عامَّة في دار الدنيا بما يصيب الُمعرِض عن ذِكْرِ ربِّه مِن الهموم والغموم والآلام التي هي عذابٌ معجَّل، وفي دار البرزخ، وفي الدار الآخرة؛ لإطلاق المعيشة الضنك، وعدَم تقييدِها.

عَنْ أَبِي مُوسَى ﵁، عن النبيِّ ﷺ قال: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**»، أخرجاه[(١)].

قال الإمام أبو الحسَن الهروي القاري في كتابه "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" (١/ ٢٣٣): قوله:(**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ**): الهُدَى: الدَّلَالَةُ عَلَى الْخَيْرِ مُطْلَقًا، والُمرَادُ بِالعِلْم هُنَا: الظَّاهِرُ والخَفِي، والهُدَى وسيلةٌ إلى العلم؛ فلذا قدَّمه. (**كَمَثَلِ الغَيْثِ**): أي: المطر الكثير، واختار اسم (الغَيث)؛ ليُؤذِن باضطرار الخلق إليه[(٢)]؛ إذ جاءهم على فترةٍ من الرسل، والغيث يُحيِي البلد الميِّت، والعِلمُ يُحيِي

(١) البخاري: (٧٩)، مسلم: (٢٢٨٢).

(٢) نعم هذا هو الواقع، فقد ارتفعت الأسعار وكثرت الأمراض في كثير من البلدان بسبب قِلَّة القَطْر واعتماد الناس على الُمعلَّبات المستوردة، وما ذاك إلَّا بسبب الذنوب والمعاصي، ولن يرفعَ الله ﷻ ذلك إلَّا بالتوبة والعودة إليه سبحانه، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾، أي: المطر من السماء والنبات من الأرض، ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[الأعراف:٩٦].

فإن قلتَ: هناك دُوَل فشَا فيها الفساد أكثرُ ممَّا نحن فيه. **قُلتُ:** إن لم يكونوا يعانون من الغَلَاء والأمراض فهم يعانون إمَّا من الزلازل وإمَّا من الحروب، وإمَّا من العقوبات المعنويَّة، كالضيق والقلق ونحو ذلك، أو أنَّ العقوبة لَمَّا تَنزِلْ، وقد تَنزِل إن لم يتوبوا إلى الله ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ =

القلبَ الميِّت. (فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ[١] فِي دِينِ الله وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ)، أي: بالعمل، (فَعَلِمَ وَعَلَّمَ): بتشديد اللام، هذا مَثَل الطائفة الأولى التي قَبِلَت الماء وأنبتت الكَلَأ، فقَبُول الماء إشارة إلى العلم، وإنبات الكلأ إشارة إلى التَّعلِيم، كذا قاله ابنُ الملك. (وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ): أي: بما بعثني اللهُ به (رأسًا)، أي: للتكبُّر، يقال: (لَمْ يرفَعْ فُلَانٌ رَأسَهُ بِهَذَا)، أي: لم يَلتَفِت إليه من غاية تكبُّره. قالَ ابنُ الملك: عَدَمُ رفْعِ رأسِه بالعلم كناية عن عدم الانتفاع به؛ لِعَدَم العمل، أو الإعراض عنه إلى حُطَام الدنيا، وهذا مَثَل الطائفة التي لا تُمسِك ماءً ولا تُنبِت كَلَأً. (وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى الله الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ): قال الطيبي: عَطفٌ تَفسِيريٌّ.

قال المظهر: ... فالنَّاسُ [في العِلْم] على ثلاثة أقسام: أحَدُهَا: مَنْ يَقْبَل بقَدْر ما يَعمَل به ولا يبلغ درجة الفتوى والتدريس. وثانِيهَا: مَن يَبلُغُهُما. وثالِثُها: مَنْ لا يَقْبَل العِلْم.

وَعَنِ ابْنِ عَمْرٍو ﵄، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاغْفِرُوا يَغْفِرِ اللهُ لَكُمْ، وَيْلٌ لِأَقْمَاعِ القَوْلِ، وَيْلٌ لِلْمُصِرِّينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ»، رَوَاهُ أَحْمَدُ[٢].

قال المناويُّ في كتابه «التيسير» (١/ ١٤١): قوله: (ارْحَمُوا[٣] تُرْحَمُوا): لأنَّ

= ﴿الَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[آل عمران:١٧٨]، وفي «الصحيحين» من حديث أَبِي مُوسَى الأشعري ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[هود:١٠٢]، ويفعل اللهُ ما يشاء، ولعلَّ ما نعانيه من تَعجِيل العقوبة أهْوَن علينا من تأخيرها وتغليظها.

(١) بضم القاف وكسرِها، والمشهور الضم إذا فَهِم وأَدْرَك الكلام، والضم أَجْوَد؛ لدلالته على أنَّ الفقه الشرعيَّ صار سجيَّةً له.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده» برقم: (٦٥٤١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم: (٤٨٢)، و«صحيح الأدب المفرد» برقم: (٢٩٣).

(٣) قال الجوهري في «الصحاح» (٥/ ١٩٢٩): الرَّحمَة: الرِّقَّة والتَّعطُّف. اهـ والرَّحمَة صفةٌ من صفات الله ﷻ ينبغي للعبد أن يتَّصِف بها، لاسيَّما مع أقاربه وجيرانه، وأحقُّ الناس بالرحمة بعد الوالدين هم =

الرَّحْمَة مِن صِفَات الحَقِّ الَّتِي بهَا شَمَل الخَلق، فندَب إِلَيْهَا الشَّرْع فِي كلِّ شَيْء. (**وَاغْفِرُوا يَغْفِرِ اللهُ لَكُمْ**): لِأَنَّهُ -تَعَالَى- يُحِبُّ أسماءَه وَصِفَاتِه ومِنْهَا (الغَفُور)، ويُحِب مَن تَخلَّق بذلك. (**وَيْلٌ لِأَقْمَاعِ القَوْلِ**): أَي: شِدَّة هلكة، والأَقْمَاعُ: بِفَتْح الهَمْزَة، جمع (قِمَع) -بِكَسْر فَفَتْح- لِمَن لَا يَعِي أَمْرَ الشَّارِع ولَمْ يتأدَّب بآدابه، شَبَّه مَن لَا يَعِي القَوْل بأقماع الْأَوَانِي الَّتِي تُجْعَل عَلَى أفْوَاهِها ويُصَب فِيهَا؛ فَإِنَّهَا لَا تُدْرِك شَيْئًا مِمَّا يُصَبُّ فِي أوانِيها؛ لِمُرُورِه عَلَيْهَا مُجْتَازًا، أَيْ: يجْعَل بَينَه وبَينَ فَهْمِ الكَلَام حاجِبًا عَن الفَهم أَو العَمَل. (**وَيْلٌ لِلْمُصِرِّينَ**) على الذُّنُوب، أَي: العازِمِينَ على المُدَاوَمَةِ عَلَيْهَا. (**الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا**): يُقِيمُونَ عَلَيْهِ، فَلم يَتُوبُوا وَلم يَسْتَغْفِرُوا (**وَهُمْ يَعْلَمُون**)، أَي: يُصِرُّون فِي حَالِ عَمَلِهِم بِأَنَّ مَا فَعَلُوهُ مَعْصِيَة.

والإِصْرَار[1]: الإِقَامَة على القَبِيح من غَيْر اسْتِغْفَار[2].



= أهلُك، فقد جاء في «صحيح سنن ابن ماجه» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبيَّ ﷺ قال: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**»، ولمَّا سمع النبيُّ ﷺ الأقرع بن حابس يقول: تقبِّلون الصِّبيَان؟ -وفي رواية: لي عشَرةٌ من الولد ما قبَّلتُ منهم أحدًا- قال ﷺ -كما في «الصحيحين» من حديث عائشة رضي الله عنها-: «**أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ**»، أي: لا أقدر أن أجعَل في قلبك الرحمة إن كان الله تعالى قد نزَعها منه، فرُبَّما عامَل بعضُهم أولادَه أو زَوجتَه معاملةَ الأَمَة، لاسيَّما إذا كان يَقِلُّ جمالُها، ولا يدري هذا المسكين أنَّ هذا سببُ نزول العقوبة عليه، بل ذكر النبيُّ ﷺ أنَّ الله لا يَرْحَمُ العَبْد إلَّا إذا كان رحِيمًا بغيره، جاء في «الصحيحين» -واللفظ للبخاري- من حديث جرير بن عبدالله رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَرْحَمُ اللهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ**».

(١) قال ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين» (١/ ١٩٩): الإِصْرَار: هو الاستقرار على المخالفة، والعزم على المُعاوَدة، وذلك ذَنبٌ آخر لعلَّه أعْظَمُ مِن الذنب الأوَّل بكَثِير، وهذا مِن عقوبة الذَّنب أنَّه يُوجِب ذنبًا أكبر منه، ثم الثاني كذلك، ثم الثالث كذلك، حتى يَستحْكِمَ الهلاك.

(٢) الاستغفار: طَلَبُ تغطية الذنوب وسترها. وقد أمر الله عز وجل به فقال: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [المزمل:٢٠]، وقال: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[النساء:١٠٦]، بل أمر جل وعلا بالمُسَارَعَة إِلَيْهَا فقال: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران:١٣٣]، وهو من صفات المحسنين، قال الله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ =

٤- بَابُ الخَوْفِ عَلَى مَنْ لَمْ يَفْهَمْ [مَعَانِي] القُرْآنِ أَنْ يَكُونَ مِنَ المُنَافِقِين

ولِهَذا انحَرَفَ كثِيرٌ من شبَاب المُسلِمين ممَّن اعتَنَى بِحِفْظ القُرآن دُونَ التَّفقُّهِ فيه.

= فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[آل عمران:١٣٤-١٣٥]، وذكر ﷺ في كتابه الكريم فوائد كثيرة منها: أن الله ﷻ يُعطِي المستغفرين الصِّحَّة والقُوَّة التَّامَّة في أبدانِهم، بل والرزق الحسَن والغيث والمال والولد، قال الله ﷻ: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾[هود:٥٢]، ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ❁ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ❁ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[نوح:١٠-١٢].

وقد كان ﷺ كثيرًا ما يستغفر الله ﷻ وقد غَفَر اللهُ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر، فقد جاء في "البخاري" من حديث أبي هريرة ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**»، والذنوب مهما كثرت وعظُمت وتكرَّرت فالله ﷻ يغفرها لِمَن استغفره وتاب إليه إلَّا ما كانت متعلقة بحقوق الآدميِّين، فقد جاء في "الصحيحين" -واللَّفظ لمسلم- مِن حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ ﷻ قَالَ: «**أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ ﷻ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ ﷻ: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ ﷻ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ**»، قَالَ عَبْدُ الْأَعْلَى: لَا أَدْرِي أَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ: «**اعْمَلْ مَا شِئْتَ**».

بل ذكر الله ﷻ أنه لا يعذِّب عبادَه ما دامُوا مستغفرين، قال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[الأنفال:٣٣]، ولهذا جاء عن أبي هريرة وابن عباس وأبي موسى ﷺ أنهم كانوا يقولون: كَانَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَمَانَانِ: رَسُولُ الله ﷺ وَالِاسْتِغْفَارُ، فَذَهَبَ أَمَانٌ -يَعْنِي: رَسُولَ الله ﷺ- وَبَقِيَ أَمَانٌ، يَعْنِي: الِاسْتِغْفَارَ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (٨/ ١٦٣): أَخْبَرَ ﷻ أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ مُسْتَغْفِرًا؛ لِأَنَّ الِاسْتِغْفَارَ يَمْحُو الذَّنْبَ الَّذِي هُوَ سَبَبُ الْعَذَابِ؛ فَيَنْدَفِعُ الْعَذَابُ.اهـ

ولا يعني هذا أنَّك تتلاعب بالتوبة والاستغفار، هؤلاء قوم لوط عذبهم الله ﷻ بمعصية واحدة وهي اللواط، وهؤلاء قوم صالح عُذِّبوا بعقْرِهم للناقة، وهؤلاء اليهود عذَّبهم الله ﷻ ومسَخَهُم حتى جَعَل مِنْهُم قِرَدة وخنازير، كل ذلك بسبب المعاصي، بل ذكر الله ﷻ أنَّه لا محَالَة ينتقم من العباد إذا أغضَبوه، قال ﷻ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الزخرف:٥٥]، والله المستعان.

وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ﴾[محمد:١٦] الآية، وَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾[الأعراف:١٧٩] الآيَة.

قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: قال العلَّامة السعدي في "تفسيره" (٧٨٦): يقولُ تعَالَى: ومِن المنافقين ﴿مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ مَا تقُول استماعًا، لا عن قبولٍ وانقياد، بل مُعرِضَة قلوبهم عنه، ولهذا قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ مستفهِمين عمَّا قُلتَ وما سَمِعوا ممَّا لم يكن لهم فيه رغبة: ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾"[1]، أيْ: قَريبًا، وهذا في غايَةِ الذَّمِّ لهم، فإنَّهُم لو كانوا حَريصِينَ على الخير لألْقَوا إلَيْه أسماعَهُم ووَعَتْهُ قلوبُهم وانقادَت له جَوارِحُهم، ولكنَّهم بعكس هذه الحال، ولهذا قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، أي: ختَم عليها، وسدَّ أبوابَ الخير التي تصل إليها بسبب اتباعهم أهواءَهم، التي لا يَهوَوْن فيها إلَّا الباطل.

قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾: قال الإمام أبو الطيب محمَّد بن صديق بن حسن خان في كتابه "فتح البيان" (٥/ ٨٢): أي: خَلَقْنَا للتعذيب بها خَلْقًا ﴿كَثِيرًا مِّنَ﴾ طائفَتَي ﴿ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾، جعَلَهُم -سبحانه- للنَّار بعَدْلِه وبعَمَل أهْلِها يعملون، ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ شيئًا من أمُور الآخرة، جَعَلَ -سبحانه- قلوبَهم -لمَّا كانت غير فاقِهَة لِمَا فيه نَفعُهُم ورَشَادُهُم- غَيْرَ فاقِهَة مُطلَقًا وإن كانت تَفْقَه في غير ما فيه النَّفْع والرَّشاد، فهو كالعَدَم. والفِقْهُ في اللُّغة: الفَهْم والعِلْم بالشيء، يُقَال: (فَقُهَ الرَّجُلُ فهُو فَقِيهٌ) إذا فَهِم.

وهكذا معنى: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ طريق الهدى والحق.

عَنْ أَسْمَاءَ ﵂، أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْلَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، يُؤْتَى أَحَدُكُمْ فَيُقَالُ لَهُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا المُؤْمِنُ أَوِ المُوقِن

(١) أي: ماذا قال قَبْل قليل، يريدون بذلك السُّخريَة والاستهزاء بالصُّلَحَاء، ونقل الكلام على غير حقيقته.

-لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ- فَيَقُولُ: **هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَاءَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَالهُدَى، فَأَجَبْنَا وَآمَنَّا وَاتَّبَعْنَا، فَيُقَالُ: نَمْ صَالِحًا فَقَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُؤْمِنًا، وَأَمَّا المُنَافِقُ أَوِ المُرْتَابُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ»**، أَخْرَجَاه[1]، وَفِي حَدِيثِ البَرَاءِ فِي "الصَّحِيح[2]": **«أَنَّ المُؤْمِنَ يَقُولُ: هُوَ رَسُولُ الله، وَيُقَالُ لَهُ: فَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ الله فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ»**.

قوله: (**إِنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ**): قالَ ابنُ عبدِ البَرِ في "الاستذكار" (٢/ ٤٢٣): أراد فِتْنَةَ المَلَكَيْنِ مُنكَر ونكِير حين يَسألَان العبد: مَنْ رَبُّكَ؟ ومَا دِينُكَ؟ ومَنْ نَبِيُّكَ؟ فالآثَار بذلِكَ متواتِرة، وأَهْلُ السُّنَّة والجماعة -وهُمْ أهْلُ الحَدِيث والرَّأْي في أحْكَام شَرائِع الإسلَام- كُلُّهُم مُجمِعُون على الإيمان والتصديق بذلك إلَّا أنَّهُم لا يَتكلَّفُون فِيهِ شيئًا، [أي: لا يُكيِّفُون]، ولا يُنكِرُه إلَّا أهْلُ البِدَع.

قولُه: (**مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُل؟**): قال النَّوَوي في "شَرحِه على مسلم" (٦/ ٢١٠): إنَّما يَقُولُ لَه الملكان السائلان: (مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُل) ولا يَقُولُ: (رَسُول الله) امتحانًا له وإِغرَابًا عليه؛ لئلَّا يتلقَّن مِنهُما إكرَامَ النبيِّ ﷺ ورَفْعَ مَرتبَتِه، فيُعظِّمه هو تقليدًا لهما، لا اعتِقادًا[3].

قوله: (**نَمْ صَالِحًا**): قال الإمام أبو الوليد الباجي الأندلسي في كتابه "المنتقى شرح الموطأ" (١/ ٣٣١): النَّومُ هاهنا: العَوْدَة إلى ما كان عليه، ووصفه بالنوم -وإن كان موتًا- لِمَا يصحبه من الرَّاحَة وصلاح الحال. وقوله: (**وَأَمَّا المُنَافِقُ أَوِ المُرْتَابُ**): المنافِق: الذي يُبطِن خِلَافَ ما يُظهِر.

قوله: (**فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي**): قال ابنُ بطَّال في "شرحه للبخاري" (٣/ ٤٥): فيه

---

(١) البخاري: (١٨٤)، مسلم: (٩٠٥).

(٢) **صحيح:** أخرجه أحمد برقم: (١٨٥٣٤)، وصححه الألباني في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" برقم: (٤٧٥٣).

(٣) فعلى هذا ما يُدَندِن به بَعضُهم مِن تلقِين المَيِّت بَعْد دَفنِه لا أَصلَ لَه.

أنَّ مَن ارتاب فِي تصديق النبيِّ أَوْ شَكَّ فِي صِحَّة رسالته فهو كافر، أَلَا تَرَى قَوْلَ المنافِق أو المُرتَاب: (لَا أدرِي)، فهذا لم يُؤمِن بالنبي ﷺ؛ لِمَا دَخَلَه مِن الارتياب والنفاق، ومَن لَمْ يَدْرِ فقَدْ نَفَى عَن نفسِه التصديق، ثم زاد شَكّه بيانًا بقوله: (**سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ**)، فأخْبَرَ أنَّه إنَّما جرى تصديقُ النبيِّ ﷺ على لسانِه مِن أجل قَولِ الناس ذلك، لَا مِنْ أَجْل اعتِقَادِه لِصِحَّة ما جَرَى على لسانِه، وهذا هو حقيقة الرَّيبِ أنْ يَقُولَ اللِّسان ما لا يعتقد صِحَّتَه القلب.

وفيه: أنَّ تمَامَ الإيمان وتمَامَ العلم إنَّما هو المَعرِفة بالله ورُسُلِه، ومَعرِفةُ الدلالة على ذلك، أَلَا تَرَى أنَّ الرسولَ ﷺ نفَى الإيمان عَمَّن يَقُولُ إذا سُئِل عن نبيِّه يقول: (لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ)، وفِيهِ: ذَمُّ التقليد، وأنَّ المُقَلِّدَ لا يَستَحِقُّ اسمَ العلم التَّام على الحقيقة[1].

---

(١) التَّقلِيد: هو التزام المكلَّفِ في حُكْم شَرعِيٍّ مَذْهبَ مَن لَيْس قولُهُ حُجَّةً في ذاته، أو هو قَبُول قَولِ القائِل مِن غير معرفةٍ لدليله، أو الرجوع إلى قول لا حُجَّة لِقائِلِه عليه. والمُقلِّد: هو الذي يُقلِّد شخصًا بِعَينِه في جميع أقوالِه أو أفعالِه، ولا يَرَى أَنَّ الحق يمكن أن يكون فيما عداه، ومِن غير أَن يَعرِف دليله، ولا يخرج عن أقوالِه ولو ثبت له عكسُ ذلك، ولا خِلَاف بين أهل العلم أنَّ التقليد ليس بِعِلْم، وأنَّ المُقلِّد لا يُطلَق عليه اسمُ (عالم).

ولقد ذَمَّ الله ﷻ التقليد ونهى عنه في كثير من الآيات، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[المائدة:١٠٤]، وعُلَماء السَّلف والأئمة المجتهدون جميعًا نهوا عن التقليد؛ لأنَّ التقليد أَحَد أَسباب الضَّعْف والتنازع بين المسلمين، والخير في الوحدة والاتباع والرجوع في الخلاف إلى الله وإلى رسوله ﷺ، ولذلك لم نَرَ الصحابة ﷺ يقلِّدُون أحدًا منهم بعينه في جميع المسائل، وكذلك الأئمة الأربعة ﷺ لم يَتعصَّبُوا لآرائهم، وكانوا يتركون آراءَهم لحديث رسول الله ﷺ ويَنهَوْن غيرَهُم عن تقليدهم دون معرفة أدلَّتِهم، قال الإمام أبو حنيفة ﷺ: إِذَا صَحَّ الحدِيثُ فهُو مَذْهَبِي، وقالَ: لا يَحِلُّ لأحَدٍ أن يأخذ بقَولِنَا ما لَمْ يَعْلَم مِن أين أَخَذْنَاه. وقال الإمام مالك ﷺ: إنَّما أنَا بَشَر أُخطِئُ وأُصِيبُ؛ فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسُّنَّة فخُذُوه، وكل ما لم يوافِق الكِتَاب والسُّنَّة فاتركوه. وقال الإمام الشافعي ﷺ: كُلُّ مسأَلةٍ صَحَّ فيها الخبر عن رسول الله ﷺ عند أهلِ النقل بخلاف ما قلت فأنَا راجِعٌ عنها في حياتي وبعد موتي. وقال الإمام أحمد ﷺ: لَا تُقلِّدْني ولا تُقلِّدْ مَالِكًا ولا الشَّافِعِي ولا الأَوْزَاعِي ولا الثَّورِي، وخُذْ من حيث أخذوا. =

وقوله: (قَرَأْتُ كِتَابَ الله): أي: تعلَّمت كتاب الله قراءةً وتفسيرًا، وتدبَّرت به حتى فَهِمتُ غالبَ ما فيه وتيقَّنتُه.



٥- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة:٧٨] الآيَة

وَقَوْلِهِ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة:٥] الآيَة.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾: قال العلَّامة السعدي ﷺ في "تفسيره" (٥٦): ﴿وَمِنْهُمْ﴾: أي: مِن أهْلِ الكِتَاب ﴿أُمِّيُّونَ﴾ أي: عوَام ليسوا من أهل العلم، ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾، أي: ليس لَهُم حَظٌّ من كتاب الله إلَّا التلاوة فقط، وليس عندهم خَبَر بما عند الأوَّلين الذين يعلمون حقَّ المعرفة حالهم، وهؤلاء إنَّما معهم ظُنُون وتقاليد لأهل العلم منهم.

قال ابنُ عبد البَر في "جامع بيان العلم وفضله" (٢/ ٩٧٥): قد ذمَّ الله تبارك وتعالى التَّقلِيدَ في غير موضع من كتابه فقال: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[التوبة:٣١]، رُوِيَ عن حذيفة وغيره، قال: لَمْ يعبدوهم من دون الله، ولكِن أحَلُّوا لهم وحرَّمُوا عليهم فاتَّبعُوهُم[(١)].

قوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾: قال الشنقيطيُّ ﷺ في "أضواء البيان"

= وأقوَالُهُم في هذا الباب كثيرة؛ لأنهم كانوا يفقهون معنى قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[الأعراف:٣]. "الوجيز في عقيدة السلف الصالح" (١/ ١٥٥).

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد برقم: (١٨٥٣٤)، وصححه الألباني ﷺ في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" برقم: (٤٧٥٣).

(٨/ ١١٧): هذا مَثَلٌ ضربَه الله لليهود، وهو أنَّه شبَّهَهُم بحمارٍ، وشبَّه التوراة التي كُلِّفُوا العمل بما فيها بأسفار، أي: كُتُب جامِعَة للعلوم النافعة، وشبَّه تكلِيفَهُم بالتوراة بحَمْلِ ذلك الحمار لِتِلْك الأسفار، فكَمَا أنَّ الحِمَار لا ينتفع بتلك العلوم النافعة التي في تلك الكتب المحمولة على ظَهْره فكذلك اليهود لم ينتفعوا بما في التوراة من العلوم النافعة؛ لأنَّهم كُلِّفوا باتباع محمد ﷺ وإظهَار صفاته للنَّاس، فخانوا وحرَّفوا وبدَّلُوا، فلَم يَنفَعْهُم ما في كتابِهم من العلوم.اهـ

وهذه الآية أشَدُّ ما ينبغي الحذر منها، وخاصَّةً لطُلَّاب العِلْم وحَمَلَتِه، كما قال تعالى: ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ﴾، أي: تشبيههم في هذا المثل بهذا الحيوان المعروف.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَشَخَصَ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ: **«هَذَا أَوَانُ يُخْتَلَسُ العِلْمُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى لَا يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ»**، فَقَالَ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ الأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه: كَيْفَ يُخْتَلَسُ مِنَّا وَقَدْ قَرَأْنَا القُرْآنَ، فَوَاللهِ لَنَقْرَأَنَّهُ وَلَنُقْرِئَنَّهُ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَقَالَ: **«ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا زِيَادُ، إِنْ كُنْتُ لَأَعُدُّكَ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ، هَذِهِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ عِنْدَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ؟»**. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيب[1].

قوله: (**فَشَخَصَ بِبَصَرِهِ**): أي: رَفَعَه. وقوله: (**هَذَا أَوَانُ يُخْتَلَسُ العِلْمُ مِنَ النَّاسِ**): أي: وَقْت[2] يُختطَف ويُسلَب عِلْمُ الوَحْي مِنهُم (**حَتَّى لَا يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى**

(١) **صحيح**: صححه الألباني في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" برقم: (٢٦٥٣).

(٢) اعلم -وفقني الله وإياك- أنه ينبغي للمسلم أن يستفيد مِن وَقتِه، وألَّا يُضيِّع منه شيئًا، فهو أغلى شيء على الإنسان، ولهذا كان أوَّلَ ما يُسأَل عنه عند الله يوم القيامة، فقد جاء في "صحيح الترغيب والترهيب" للعلَّامة الألباني رحمه الله، من حديث أبي برزة رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: **«لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ بِهِ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟»**. قال ابن الجوزي رحمه الله -كما في "الآداب الشرعيَّة" (٣/ ٤٧٤)- رأيتُ العادات قد غلَبَت على الناس في تضييع الزمان، فهُم يتزاوَرُونَ فلا يَنفَكُّون عن كلامٍ لا ينفع، وغِيبَة، وأَقَلُّهُ ضياعُ الزمان، وقد كان القدماء يحذِّرُون من ذلك... إلى أن قال: واعلم =

شَيْءٍ)[١]، أي: لا يقدروا على شيء من كتاب الله وسُنَّة نبيِّه ﷺ[٢]. قال القاري في "مرقاة المفاتيح" (١/ ٣٢٠): والأَظْهَر: على شيء من العِلْم. قال الطيبي: فكأنَّه ﷺ لمَّا نظر إلى السَّماء كُوشِفَ باقترابِ أَجَلِه، فأَخْبَرَ بذَلِك، (فَقَالَ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ الأَنْصَارِيُّ ﷺ: كَيْفَ يُخْتَلَسُ مِنَّا وَقَدْ قَرَأْنَا القُرْآنَ، فَوَاللهِ لَنَقْرَأَنَّهُ وَلَنُقْرِئَنَّهُ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا)[٣]، يعني: والحال أنَّ القرآن مُستَمِرٌّ بين الناس إلى يوم القيامة، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر:٩]. (قَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا زِيَادُ): أي: فقَدَتْك، وأصلُه الدعاء بالموت، ثم يُستعمَل في التعجُّب. (إِنْ كُنْتُ[٤] لَأَعُدُّكَ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ، هَذِهِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ عِنْدَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ؟): أي: فماذا تَنفَعُهُم وتُفِيدُهم.

وفي حَدِيثِ زياد بن لبيد ﷺ عند ابن ماجه[٥]: «أَوَلَيْسَ هَذِهِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى

= أنَّ الزمان أشْرَف مِن أن يُضيَّع منه لحظة، فكَمْ يُضيِّع الآدميُّ مِن ساعات يَفُوتُه فيها الثواب الجزيل، وهذه الأيام مثل المزرعة، وكأنَّه قد قيل للإنسان: كُلَّما بَذَرْتَ حبَّةً أَخْرَجْنَا لَكَ أَلْفًا، هل تُرى يجوز للعاقل أن يتوقَّف عن البذر أو يَتَوَانَى؟! والذي يُعِينُ على اغتِنَام الزمان الانفراد والعزلة مهما أمْكَن، والاختصارُ على السلام أو حاجَةٍ مهمَّة لِمَن يلْقَى، وقِلَّة الأَكْل، فإن كَثْرَتَه سَبَبُ النوم الطويل وضياع الليل، ومَن نَظَرَ في سِيَرَ السلف وآمَن بالجزاء بان له ما ذكرته.

(١) ولعلَّ هذا لكثرة انجراف المسلمين خلفَ اللَّعِب واللَّهْو والدنيا وتَركِهم طَلَبَ العلم الشرعي، فلا تسأل بعد ذلك عمَّا ينزل على الأُمَّة من البلاء، إلى الله المُشتكَى.

(٢) ويدخل في هذا عدمُ الأخذ من سُنَّتِه ﷺ والانجراف بعد البدع والأهواء، وهذا واقع الأُمَّة اليوم.

(٣) وهذا فيه أنه ينبغي للمسلم أن يقوم بما أوجبه الله ﷻ عليه تجاه زوجاته وأولاده، يقول هذا الصحابي ﷺ: (فوَاللهِ لنَقْرَأَنَّهُ ولنُقْرِئَنَّه نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا)، فما حَصَل ما حَصَل من التَّشَتُّت والتفرُّق في الأُسَر إلَّا بعدما تساهل وتهاون الآباء في تربية أولادهم وتعليمِهم كتابَ ربهم وسُنَّة نبيهم ﷺ على فَهْم السلف رضوان الله تعالى عليهم، فقامت الدُّشُوش والأجهزة الذكيَّة مقام الآباء، وليس ما نعانيه اليوم من العصيان والعقوق وقِلَّة النفع في الوقت والمال والولد إلَّا بسبب ضَعْف الآباء وتردِّيهم خَلْف الهَوَى والنفس والشيطان، والله المستعان.

(٤) قوله: (إِنْ كُنْتُ): (إِنْ): مخفَّفة من الثقيلة بدليل اللَّام الآتية الفارقة، واسمها ضمير الشأن محذوف، أي: أنَّ الشأن كنت أنا.

(٥) **صحيح:** صحَّحه الألباني في "صحيح وضعيف سنن ابن ماجه" برقم: (٤٠٤٨).

يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ لَا يَعْمَلُونَ بِشَيءٍ مِمَّا فِيهِمَا[(١)]». قال القاري في "مرقاة المفاتيح" (١/ ٣٣٩): أي: فكما لم تُفِدْهُم قراءتُهما مع عدَم العلم بما فيهما فكذلك أنتم[(٢)]، نزّل العالم الذي لا يَعمَل بعِلْمِه منزلةَ الجاهل، بل منزلة الحمار الذي يحمل أسفارًا، بل أولئك كالأنعام بل هم أضل.اهـ

وَعَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[آل عمران:١٩٠-١٩١]، قَالَ: «وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا»، رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي "صَحِيحِه"[(٣)].

قوله: (وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَ...): هذا فيه تهديدٌ وتخويفٌ لمن يقرأ كتاب الله ﷻ ولكن لا يتدبَّر ولا يتفكر في آياته، وإذا كان هذا فِيمَن يقرأ لكن لا يتدبر ولا يتفكر فكيف بمن لا يقرأ؟! لذا قال النبيُّ ﵊ -كما في "البخاري" من حديث سمرة بن جندب ﵁ وفيه-: «أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالحَجَرِ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ القُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلاَةِ[(٤)] المَكْتُوبَةِ»، ومعنى (يُثْلَغُ رَأْسُهُ): أي: يُشدَخ ويُشَق. وقوله: (فيَرْفُضُه): يحتمل وجهين: أحَدهُما: يَرفُض تلاوتَه ويتركها حتى ينسَاه. والثاني: يَرفُضُ العَمَل به.



(١) وهذا الذي نَخشَى منه على أهل زمانِنا أن يأتي علينَا يومٌ نقرأ فيه كتاب الله وسنَّة نبيه ﷺ ولا نعمل بشيء مما فيهما، والعياذ بالله.

(٢) والجملة حال مِن (يقرَءُون)، أي: يقرءون غير عاملين.

(٣) **صحيح**؛ رواه ابن حِبَّان في "صحيحه" برقم: (٦٢٠)، وصححه الألباني في "الصحيحة" برقم: (٦٨).

(٤) والصلاة عَمُود الإسلام، وهي آخر ما يُفقد من الدِّين وأوَّلُ ما يُحاسَب عليه العبد يوم القيامة، وهي التمييز بين المسلم والكافر، الناهية عن الفحشاء والمنكر، ولِعِظَم شأنها لم يَزَل النبيُّ ﷺ يوصِي بها حتى في مَرَضِه الذي تُوُفِّي فيه، ويجب على الرِّجال أداؤها جماعةً في المساجد، وكلَّما كان الإمامُ أقرب إلى السُّنَّة كانت الصلاة خلفه أفضَل وأعظَم أجرًا عند الله ﷻ، فلا ينبغي للمسلم أن يؤدِّيها في غير المساجد إلَّا لِعُذرٍ شرعيٍّ له من الله فيه برهان.

٦- بَابُ إِثْمِ مَنْ فَجرَ بِالقُرْآن

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[البقرة:٢٦]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[المائدة:٤٤]، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[البقرة:١٧٤] الآيَة.

قَولُه: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: قال العلَّامة السعدي ﵀ في "تفسيره" (٤٧): ذَكَر حِكمَتَه في إضلَالِ مَن يُضِلُّهُم، وأنَّ ذلِكَ عَدْلٌ مِنْه تعالى، فقال: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾، أي: الخارجين عن طاعة الله، المُعانِدِين لرُسُل الله، الذين صار الفِسْقُ وَصْفَهُم فلا يبغون به بدلًا، فاقتضت حكمتُه -تعالى- إضلالَهُم؛ لِعَدَم صلاحيَّتِهِم لِلهُدى، كما اقتضت حكمتُه وفَضلُه هِدَايَةَ مَن اتَّصَف بالإيمان وتحلَّى بالأعمال الصالحة.

والفِسْق نَوعَان: نَوعٌ مُخرِجٌ مِن الدِّين، وهو الفِسْق المُقتَضِي للخروج من الإيمان، كالمذكور في هذه الآية ونحوها، ونَوعٌ غَيرُ مخرج من الإيمان، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[الحجرات:٦].اهـ

قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم﴾ الآية: قال الشِّنقيطي في "أضواء البيان" (١/ ٤٠٧): الظاهر المتبادر من سياق الآيات أنَّ آية ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ نازِلةٌ في المسلمين؛ لأنه -تعالى- قال قَبْلَها مخاطِبًا لِمُسلِمِي هذه الأمَّة: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، ثم قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[المائدة:٤٤]، فالخِطَاب للمسلِمين كما هو ظاهر متبادر من سياق الآية، وعليه: فالكفر إمَّا كُفْرٌ دون كُفْر، وإمَّا أن يكون فَعَل ذلك مستحلًّا له، أو قاصِدًا به جَحْدَ أحكام الله ورَدَّها مع العلم بها، أمَّا مَن حَكَم بغير حُكْم الله وهو

عَالِمٌ أنه مُرتَكِب ذنبًا، فاعِلٌ قَبِيحًا، وإنما حمَلَه على ذلك الهوى فهُوَ مِن سائر عُصَاة المسلمين.

وسياق القرآن ظاهرٌ أيضًا في أنَّ آية: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[المائدة:٤٥] في اليهود؛ لأنَّه قال قبلها: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾، فالخطاب لهم لِوُضُوحِ دلالة السياق عليه، كما أنَّه ظاهرٌ أيضًا في أنَّ آية: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾[المائدة:٤٧] في النصارى؛ لأنَّه قال قبلها: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾.

واعلَمْ أنَّ تحرير المقام في هذا البَحْث: أنَّ الكُفْرَ والظُّلْمَ والفِسْقَ كل واحدٍ منْهَا رُبَّما أُطلِق في الشرع مُرادًا به المَعصِيَة تارةً، والكُفْر المُخرِج من المِلَّة أُخْرَى، ومَن لَم يَحكُمْ بما أنزل الله مُعارَضَةً للرُّسُل وإبطالًا لأحكام الله فظُلْمه وفِسقُهُ وكُفْرُه كُلُّهَا كُفْرٌ مُخرِجٌ عن المِلَّة، ومَن لم يَحكُمْ بما أنزل اللهُ معتَقِدًا أنَّه مُرتَكِب حرامًا فاعِلٌ قبيحًا فكُفْرُه وظُلْمُه وفِسْقُهُ غَيرُ مُخرجٍ عن المِلَّة، وقد عَرَفْتَ أنَّ ظاهر القرآن يدل على أنَّ الأُولَى في المسلمين، والثانية في اليهود، والثالثة في النصارى، والعِبرَة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب، وتحقيق أحكام الكُلِّ هو ما رأيتَ، والعلم عند الله تعالى.اهـ

وقال العلَّامة السعدي ﷺ في "تفسيره" (٢٣٢): ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ مِن الحقِّ المبين، وحكَم بالباطل الذي يعلَمُه؛ لِغَرَضٍ مِن أغراضِه الفاسدة، ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، فالحكم بغير ما أنْزَل الله مِن أعمال أهْلِ الكُفْر، وقَدْ يكون كُفرًا يَنقُل عن المِلَّة، وذلك إذا اعتقد حِلَّه وجوازه، وقد يَكُونُ كبيرةً من كبائر الذنوب ومِن أعمال الكفر، قد استحق مَن فَعَله العذاب الشديد.اهـ

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ الآية: هذا وَعِيدٌ شدِيدٌ لمن كتم ما أنزل الله على رُسُلِه مِن العلم الذي أخذ اللهُ الميثاق على أهلِه أَن يُبيِّنُوه للناس ولا يكتموه، فمَن تعوَّض عنه بالحطام الدنيوي ونبَذَ أمْرَ الله فـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾[البقرة:١٧٤]؛ لأن هذا الثمن الذي اكتسبوه إنَّما حصَل لهم بأَقْبَح المكاسِب، وأعْظَم المحرَّمات، فكان جزاؤهم مِن جِنْس عَمَلِهم. قاله السعدي.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَخْرُجُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ** -وَلَمْ يَقُلْ: مِنْهَا[(١)]- **قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ** -أَوْ حَنَاجِرَهُمْ- **يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَيَنْظُرُ الرَّامِي إِلَى سَهْمِهِ إِلَى نَصْلِهِ إِلَى رِصَافِهِ، فَيَتَمَارَى فِي الفُوقَةِ هَلْ عَلِقَ بِهَا مِنَ الدَّمِ شَيْءٌ؟**» أَخْرَجَاه[(٢)]. وَفِي رِوَايَةٍ: «**يَتْلُونَ كِتَابَ الله رَطْبًا**»[(٣)]. وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنه يَرَاهُمْ شِرَارَ الخَلْقِ، وَقَالَ: إِنَّهُمُ انْطَلَقُوا إِلَى آيَاتٍ نَزَلَتْ فِي الكُفَّارِ فَجَعَلُوهَا عَلَى المُؤْمِنِينَ[(٤)].

قال القَسطَلَانِي في كتابه "إرشاد الساري" (١٠/ ٨٦): قوله: (يَخْرُجُ فِي هَذِهِ

---

(١) قوله: (وَلَمْ يَقُلْ: مِنْهَا): فِيهِ ضَبطٌ للرواية وتَحرِيرٌ لمواقع الألفاظ وإشعارٌ بأنَّهُم ليسوا من هذه الأمَّة، فظاهره أنه ﷺ يَرَى إكفَارَهُم، وإلى هذا ذهَب جمعٌ من المتقدمين والمتأخرين ومنهم العلَّامة صالح بن فوزان الفوزان حَفِظَهُ اللهُ، لكِن في "مسلم" من حديث أبي ذر رضي الله عنه: «**سَيَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ**»، قال في "الفتح": فيجمع بينه وبين حديث أبي سعيد رضي الله عنه بأنَّ المراد في حديث أبي سعيد بـ(الأمَّة): أُمَّة الإجابة، وفي غيره: أُمَّة الدَّعوة، وذكر ابنُ بَطَّال أنَّ جمهور العلماء ذهبوا إلى أنَّ الخوارج غير خارجين مِن جملة المسلمين؛ لقوله: «**فَيَتَمَارَى فِي الفُوْقَة**»؛ لأنَّ التماري مِن الشَّك، وإذا وَقَع الشَّكُّ في ذلك لم يُقطَع عليهم بالخروج من الإسلام؛ لأنَّ مَن ثَبَت له عَقْدُ الإسلام بيقينٍ لم يخرج منه إلَّا بيقين.

(٢) البخاري: (٦٩٣١)، مسلم: (١٠٦٤).

(٣) **متفق عليه:** البخاري: (٤٣٥١)، مسلم: (١٠٦٤).

(٤) **صحيح:** قال شيخُنا الهُمام أبو عبدالله محمَّد باجمَّال حَفِظَهُ اللهُ: هذا الأثر علَّقه البخاري في "صحيحه" قَبْل رَقْم: (٦٩٣٠)، ووَصَلَه الطبري في "تهذيب الآثار" مِن مُسنَد علي فيما قاله الحافظ في "الفتح"، وساقَ إسناد الطبري في "تغليق التعليق" (٥/ ٢٥٩)، وقال: إسناده صحيح.اهـ ثمَّ قال: قُلْتُ: وهو كما قال، إلَّا أنني لم أقِفْ عليه في مطبوع "تهذيب الآثار"، فلعلَّه سَقَط مِنْها.

(الأُمَّةِ) المُحمَّدِيَّة (قَوْمٌ تَحْقِرُونَ) -أي: تستقِلُّون- (صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ): [قَالَ القَارِي: أي: كمِّيَّةً وكيفِيَّة]، (يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ، أَوْ حَنَاجِرَهُمْ)، أي: فلا تَفقَهُه قلوبُهم ولا ينتفعون بما يَتلُونَه مِنْه، أو لا تَصعَدُ تلاوتهم في جملة الكَلِم الطَّيِّب إلى الله تعالى، (يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ) المُحمَّدِيِّ (مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ)، أي: الصَّيد الذي يُصابُ بالسَّهْم فيَدخُل فِيهِ ويَخرُج منه، فلا يعلق من جسَد الصيد شيءٌ به؛ لِسُرعَةِ خروجه. (إِلَى نَصْلِهِ): وهو حَدِيدَةُ السَّهْم. (إِلَى رِصَافِهِ): العَصَب الذي يَكُون فوق مَدخَل النَّصْل، أي: ينظر إليه جُملَةً وتفصيلًا، (فَيَتَمَارَى) -أي: يَشُكُّ- (فِي الفُوقَةِ)[1]: الفُوقَةُ: مَوضِعُ الوَتَر مِنَ السَّهْم. (بِهَا مِنَ الدَّمِ شَيْءٌ): فكذلك قراءتُهم لا يحصل لهم منها شيءٌ من الثواب، لا أوَّلًا ولا آخرًا ولا وَسَطًا؛ لأنهم تأوَّلوا القرآن على غير الحق.

وقوله: (رَطْبًا): لمُوَاظَبَتِهِم على تِلَاوَتِه، فلا يزال لِسَانُهُم رطبًا بها، أو هو مِن تحسين الصوت بها.

قوله: (إِنَّهُم انْطَلَقُوا إِلَى آيَاتٍ...): فيه أَنَّهُم يَمِيلُون إلى التفريق والتَّمزِيق وسَفْكِ الدماء، ولهذا قال أيُّوب السختياني -كما في "شرح السنة" (١٠/ ٢٣٤)-: إنَّ الخوارج اختلفوا في الإسلام، واجتمعوا على السيف.اهـ

وهذا هو الواقع، ولهذا انظر إلى الخوارج بشتَّى أنواعِهم، فهُمْ وإن اختلفوا في المناهج والعقائد إلَّا أنَّهُم يتَّفِقُون في سَفْكِ الدماء والخروج على أهْلِ الإسلام حُكَّامًا ومحكومين، فإذا أَرَدْتَ أن تعرِف جماعةً ما -أهيَ عَلَى منهجِ الخوارج أم على السُّنَّة- فانظر إلى موقِفِها مِن حُكَّام المسلمين، فإن هُمْ دعوا إلى الصَّبْر والنصح فهُمْ على السُّنَّة، وإن هُمْ دعَوا إلى السَّبِّ والشتم والخروج والقتل والقتال فهُم خوارج، سواء تظاهروا بمعالم الدين أم لَا، فإنَّ وراءَهم ما وراءهم.

---

(١) بِضَمِّ الفَاء وفَتْحِ القاف بينهما واو ساكنة.

وَلِلتِّرْمِذِي[١] وَحَسَّنَه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ مَرْفُوعًا: «**مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ**».

قال الإمام أبو الحسن الهروي القاري في كتابه "مرقاة المفاتيح" (١/ ٣٠٣): قوله: (**مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ**): وهو عِلمٌ يَحتاجُ إليه السائل في أَمْرِ دينه، (**فَكَتَمَهُ**) بِعَدَم الجواب، أو بمنع الكتاب، (**أَلْجَمَهُ اللهُ**): أي: أدْخَل في فَمِه لِجامًا؛ لأَنَّه مَوضِع خروج العِلْم والكلام. قال الطيبي: شَبَّه ما يُوضَع في فِيهِ مِن النَّار بلِجَامٍ في فَمِ الدابَّة. (**يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ**): مكافأةً له، حيث أَلجَمَ نفسَه بالسُّكُوت، وشُبِّه بالحيوان الذي سُخِّر ومُنِع مِن قَصْدِه ما يريده؛ فإنَّ العالِمَ مِن شأنِه أن يدعو إلى الحق.



٧- بَابُ إِثْمِ مَنْ رَاءَى بِالقُرْآن

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ**

(١) **صحيح**: صحَّحه الألباني في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" برقم: (٢٦٤٩) بلفظ: «ثُمَّ كَتَمَهُ أُلْجِمَ».

فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»، رَوَاهُ مُسْلِم[١].

قال الإمام أبو الحَسَن الهروي القاري في كتابه "مرقاة المفاتيح" (١/ ٢٨٨):

قوله: (إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ)[٢]: أي: يُحاسَب ويُسْأَل عن أفعالِه قَبْلُ ثَلاثَةٌ: (رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ): أي: قُتِل في سبيل الله. (فَأُتِيَ بِهِ): أي: بالرَّجُل للحساب. (فَعَرَّفَهُ): بالتشديد، أي: ذكَّره تعالى (نِعَمَهُ)، أي: التي أسداها إليه. (فَعَرَفَهَا): بالتخفيف، أي: تذكَّرها، فكأنَّه مِن الهَولِ والدَّهْشَة نسِيَها وذَهِل عنها. (قَالَ) تعالى: (فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟): أي: في مقابلتِها شُكرًا لها، أي: في أيَّامِهَا لِيَنْفَعك اليَوْم. (قَالَ): أي: الرَّجُل. (قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ): أي: جاهدتُ في جِهَتِك خالِصًا لك، كذا ذكَره الطيبي، أي: حارَبْتُ لأجلِك. (قَالَ) تعالى: (كَذَبْتَ): أي: في دعْوَى الإخلاص، أو في هذا القول، (وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ): أي: في حَقِّك أنَّك، أو: هو (جَرِيءٌ)[٣]: أي: شجاع. (فَقَدْ قِيلَ): أي: ذلك القول لك وفي شأنِك، فحَصَل مقصودُك وغرَضُك. (ثُمَّ أُمِرَ بِهِ): أي: قيل لخَزَنَةِ جهنَّم: أَلقُوهُ في النَّار. (فَسُحِبَ): أي: جُرَّ (عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ): مبالغة في تنكيله[٤].

(وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ): أي: الشرعي. (وَعَلَّمَهُ): أي: الناس، أي: وَصَل إلى مرتبة الكمال والتكميل، (وَقَرَأَ الْقُرْآنَ): فهو تخصيصٌ بعد تعميم، أو المراد به: مجرَّد تلاوة القرآن، يعني: التعلُّم والتعليم لم يمنعاهُ عن الاشتغال بالقرآن، وهذا أَظْهَر. (فَأُتِيَ بِهِ) إلى مَحْضر الحسَاب. (فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ) تعالى، أو نِعَمَ الرَّجُل، (فَعَرَفَهَا)، فكأنَّه

---

(١) رواه مسْلِم برقم: (١٩٠٥).

(٢) جملة (يُقضَى عليه) هنا: صفة لـ(الناس)؛ لأنها نكرة في المعنى.

(٣) (فَعِيلٌ)، من الجراءة، فهو مهموز، وقد يُدغَم فيقال: (جَرِيٌّ) كـ(حَرِي).

(٤) وهذا إن دلَّ على شيءٍ إنما يدل على عِظَم جُرْمِ ذَنْبِ المرائي في طاعة الله ﷻ المبتغي بها شيئًا من حُطَام الدنيا ورِفْعَة الناس له، نسأل الله السلامة والعافية.

لِغَفْلَتِهِ عنها كان أَنكَرَها. (قَالَ) تعالى: (فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟): أي: هَلْ صرفْتَها في مَرضَاتِي أم في غيرِها؟ (قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ): أي: صرفْتُ نعمَتِي التي أنعمتَ بها عليَّ في الاشتغال بالعلم والعمل والقراءة؛ ابتغاءً لوجهك وشُكرًا لنِعْمَتِك. (قَالَ: كَذَبْتَ) في دعوى مقام الإخلاص، أو على مقتضى عادتِك، (وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ): ولعلَّه لم يَقُل: (وعلَّمْت العِلْمَ ليقَالَ: إنَّك معلِّمٌ)؛ للاختصار واكتفاء بالمقايَسَة، أو لأنَّ أساسَ الشيء إذا لم يكن على الإخلاص فيَبعُد بناؤه أن يكون على وجه الاختصاص. (وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ) لكَ: عالِمٌ وقارِئٌ، فما لك عندنا أجرٌ. (ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ) نعوذ بالله منها.

(وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ): أي: كثَّر مالَه، (وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ كُلِّهِ)، كالنقود والمتاع والعقار والمواشي، (فَأُتِيَ بِهِ) على رُءُوسِ الخلائق للافتِضَاح، (فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ) تعالى: (فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟)، أي: في مقابلة النِّعَم، أو في الأموال. (قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ[١] تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا) -كبِنَاء المساجد والمدارس وإعطاء الزكاة والصدقات- (إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ)، أي: في قولِك: (لَك)، (وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ)، أي: سَخِيٌّ كريم، (فَقَدْ قِيلَ): وفيه إشارة إلى أنَّ اللهَ لا يضيع أَجْرَ مَن عَمِلَ لأيِّ غَرَضٍ يكون، (ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ).

○ ○ ○

(١) (مِنْ): زائدة تأكيدًا لاستغراق النفي.

٨- بَابُ إِثْمِ مَنْ تَأَكَّلَ بِالقُرْآن

عَنْ جَابِرٍ ﵁، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**اقْرَءُوا القُرْآنَ وَابْتَغُوا بِهِ اللهَ ﷿ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ إِقَامَةَ القِدْحِ، يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَه**»، رَوَاهُ أَبُو دَاوُد[(١)]، وَلَهُ[(٢)] مَعْنَاهُ مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﵁.

قال المناوي في «التيسير» (١/ ١٩٤): قوله: (**اقْرَءُوا القُرْآنَ**): على الْكَيْفِيَّة الَّتِي تَسهُل على أَلْسِنَتكُم مَعَ اختلافِها فصاحةً ولَثْغةً[(٣)]، ولكنَّه بِلَا تكلُّف ولَا مُبَالغَة. (**وَابْتَغُوا بِهِ اللهَ ﷿ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ إِقَامَةَ القِدْحِ**): أَي: يُسرِعُون فِي تِلَاوَته كإسراع السَّهْم إِذا خَرَج من القَوس. والقِدْح -بِكَسْر فَسُكُون-: السَّهْم. (**يَتَعَجَّلُونَهُ**): يَطْلُبُونَ بقرَاءَته العاجلة عَرَضَ الدُّنْيَا والرِّفعَة. (**وَلَا يَتَأَجَّلُونَه**): لَا يُرِيدُونَ بِهِ الآجِلة، أَي: جَزَاء الآخِرَة.

وَعَنْ عِمْرَانَ ﵁، أَنَّهُ مَرَّ بِرَجُلٍ يَقْرَأُ عَلَى قَوْمٍ، فَلَمَّا فَرَغَ سَأَلَهُ، فَقَالَ عِمْرَانُ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون[(٤)]، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُول: «**مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَلْيَسْأَلِ اللهَ ﷻ بِه؛ فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ قَوْمٌ يَقْرَءُونَ القُرْآنَ يَسْأَلُونَ بِهِ النَّاس**» رَوَاهُ أَحْمَد وَالتِّرمِذِي[(٥)].

---

(١) **صحيح:** أخرجه أبو داود برقم: (٨٣٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم: (٢٥٩).

(٢) **صحيح:** أخرجه أبو داود برقم: (٨٣١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم: (٢٥٩).

(٣) اللَّثْغَة: تَحوُّل اللِّسَان مِن حَرفٍ إِلَى حرف، كقَلْب السِّين ثاء، والرَّاء غَينًا.

(٤) هذا في زمانه، فكيف لو رأى قراء زماننا الذين يفتتحون دورًا ومراكز للقراءة على الناس مقابل المال، وربما أضاعوا عمر المريض ظانين أن به شيئًا، وليس به شيء مما يظنون، وإنما يحتاج طبيبًا مختصًّا، كأن يكون عنده جرثومة في المعدة أو هبوط في السكر أو هبوط في الضغط، وقد يكون أحيانًا جانبًا نفسيًّا، فالمصاب بمثل هذه الأشياء يعمل أعمال المصاب بالعين أو المس أو السحر ونحوها.

(٥) **حسن:** أخرجه أحمد برقم: (١٩٩١٧)، وحسنه الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» برقم: (٢٩١٧)، و«الصحيحة» برقم: (٢٥٧).

فإن قُلتَ: فما تقول في حديث أبي سعيد الخدري ﵁ في «الصحيحين» حين نزلوا بحيٍّ من أحياء العرب، فاستضافوهم فأبوا أن يضيِّفوهم، فلُدِغ سيِّدُ ذلك الحَي، فأتوهم فقالوا: يا أيُّها الرَّهْط إنَّ =

قوله: (مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَلْيَسْأَلِ اللهَ ﷻ بِهِ): قال المبَارَكفُوري في كتابه "تحفة الأحوذي" (٨/ ١٨٩): أي فليطلُب من الله تعالى بالقرآن ما شاء من أمور الدنيا والآخرة، أو المراد أنَّه إذا مَرَّ بآيةِ رَحْمَةٍ فليسألها من الله تعالى، أو بآيةِ عُقُوبَةٍ فيتعوَّذ إليه بها منها، وإمَّا أن يدعو الله عقيب القراءة بالأدعية المأثورة، وينبغي أن يكون الدعاء[1] في أمر الآخرة وإصلاح المسلمين في معاشِهم ومَعادِهِم.اهـ

= سيدَنا لُدِغ، فسَعَينَا له بكلِّ شيء لا ينفعه شيء، فهل عند أحدٍ منكم شيء؟ فقال بعضهم: نعم، والله إنِّي لراق، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنَا براقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جُعْلًا، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق فجعل يَتفل ويقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة:٢] حتى لكأنَّما نشط من عقال، فانطلق يمشي ما به قلبة، قال: فأوفوهم جُعلَهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقسموا، فقال الذي رقَى: لا تفعلوا حتَّى نأتي رسول الله ﷺ فنذكر له الذي كان، فننظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له، فقال: «**وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَة؟ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْم**». **قُلْتُ**: هذا ضرورة قُوبِلَت بمثلها، فليس يناقِض ما جاء في الباب.

(١) قال الطِّيبيُّ -كما في "نضرة النعيم" (٥/ ١٩٠١)-: الدُّعَاء: إظهار غاية التَّذلُّل والافتقار إلى الله والاستكانة له.اهـ وقد أمر الله ﷻ عبادَه بالدعاء وعَدَّ تاركه متكبِّرًا عليه ﷻ، بل توعَّده بأن يُدخِله النار ذليلًا لا كرامة له، فقال عزَّ من قائل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:٦٠]، والأصل في الدعاء أن يكون بصوتٍ خفيٍّ إلَّا في المواطن التي ثبَت فيها عن النبي ﷺ أنه رفع صوته، قال الله ﷻ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[الأعراف:٥٥]، وقولُه: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾: قال أبو مجلَز -كما في "تفسير البغوي" (٣/ ٢٣٧)-: هم الذين يسألون منازِل الأنبياء ﵈. وقيل: أراد به الجهر والصياح. وقال عطيَّة: هم الذين يدعون على المؤمنين. وقيل: هم الذين يدعون على أنفسهم وعلى أولادهم. وقيل: هم الذين يُفصِّلون في الدعاء. وقيل غير ذلك، والظاهر أن الجميع محتمل.

وللدُّعاء آداب: مِنهَا: الثناء على الله ﷻ والصلاة على النبي ﷺ عند بدئه أو الانتهاء منه، فقد جاء في "صحيح سنن أبي داود" للعلامة الألباني ﵀ من حديث فضَالةَ بنِ عُبَيد ﵁ قال: سَمِعَ رسولُ الله ﷺ رجلًا يَدْعُو في صلاته لم يُمجِّدِ الله ولم يُصَل على النبيَّ ﷺ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**عَجِلَ هَذَا**»، ثم دعاه، فقال له أو لغيره: «**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ رَبِّه وَالثَّناءِ عَلَيْه، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبيِّ، ثُمَّ يَدعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ**». ومنها: الإجمال في الطَّلب وعدمُ التوسُّع في التفصيل؛ لما في ذلك من الاعتداء في الدعاء، فقد جاء في "الصحيحة" للعلامة الألباني ﵀ عن ابنٍ لِسَعْدٍ ﵁ قال: سمِعَني أَبِي وأنا أقول: اللَّهُم إني أسألك الجنة، ونعيمَها وبهجتها وكذا وكذا، وأعوذ بك من النار وسلاسِلِها وأغلالِها وكذا =

وهذا فيه استحباب التوسُّل بالقرآن عند الدعاء؛ لكونه من صفات الله ﷻ.

وقوله: (**يَسْأَلُونَ بِهِ النَّاسَ**): أي: يطلبون به الدنيا بلسان القَال، أو ببيان الحال.



٩- بَابُ الجفَاءِ عَنِ القُرْآن

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدب فِي حَدِيثِ الرُّؤْيَا الطَّوِيل مَرْفُوعًا، قَالَ: «**أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ عَلَى رَأْسِهِ فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ، فَيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَاهُنَا، فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يُصْبِحَ رَأْسُهُ**

= وكذا، فقال: يا بُنَيَّ! إني سمِعت رسول الله ﷺ يقول: «**سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاء**»، فإيَّاك أن تكون منهم! إنَّك إن أُعْطِيتَ الجنةَ أُعْطِيتَها وما فيها من الخير، وإن أُعِذْتَ من النار أُعِذْتَ منها وما فيها من الشَّرِّ.

وهناك أوقات تُفتَح فيها أبواب السماء، منها: قبل الظُّهر، فقد جاء في "صحيح الجامع" للعلَّامة الألباني، من حديث أبي أيوب ﷺ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إِنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ تُفْتَحُ إِلَى زَوَالِ الشَّمْسِ، فَلَا تُرْتَجُ حَتَّى يُصَلَّى الظُّهْر، فَأُحِبُّ أَنْ يَصْعَدَ لِي فِيهَا خَيْرٌ**». ومنها أيضًا: عند كل أذان، فقد جاء في "صحيح الترغيب والترهيب" للعلامة الألباني، من حديث جابرٍ ﷺ، أن النبيَّ ﷺ قال: "**إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَاسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ**». ومنها: إذا انتصف الليل، فقد جاء في "الصحيحين" من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا ﷻ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**»، وفي "صحيح الجامع" للعلامة الألباني من حديث عثمان بن أبي العاص ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «**تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ نِصْفَ اللَّيْل، فَيُنَادِي مُنَادٍ: هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَاب لَه؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى؟ هَلْ مِنْ مَكْرُوبٍ فَيُفَرج عَنْه؟ فلَا يَبْقَى مُسْلِمٌ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ تَعَالَى لَه، إِلَّا زَانِيَة تَسْعَى بِفَرْجِهَا أَوْ عِشَارًا**». ومنها: آخر ساعة من يوم الجمعة، فقد جاء في "سنن أبي داود" وصححه الشيخان الألباني والوادعي ﷺ، من حديث جابر بن عبدالله ﷺ، عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**يَوْم الجُمُعَةِ ثِنْتَا عَشْرَةَ -يُرِيدُ سَاعَةً- لَا يُوجَدُ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا إِلَّا آتَاهُ اللهُ ﷻ، فَالتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَة بَعْدَ العَصْر**».

كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى، فَقُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ اللهِ! مَا هَذَا؟ قَالَا: هَذَا رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ القُرْآنَ فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْل، وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَار، يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»، وفِي رِوَايَة: «الَّذِي يَأْخُذُ القُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ المَكْتُوبَةِ»، رَوَاهُ البُخَارِي[١].

قال الإمام أبو الحسن الهروي القاري في كتابه "مرقاة المفاتيح" (١/ ٢٩٣١): قوله: (أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ): أي: شَخصَان أو مَلَكَان، [قيل: أنهما جبريل وميكائيل]. (وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي): أي: أثاراني وأذهباني، وأمَّا ما قيل أنَّ معناه: أيقظاني من المنام فلا يناسب المقام. (وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ): أي: مُستَلْقٍ على قفَاه، وهذا فيه أنَّ الجزاء من جِنْس العمل، فلمَّا تكاسَل ونام عن القرآن في الدنيا كانت هيئة العقوبة من جنس فِعْلِه.اهـ

قال الإمام القسطلاني في "شرحه على البخاري" (١٠/ ١٦٣): قوله: (وَإِذَا) رجُلٌ (آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ عَلَى رَأْسِهِ فَيَثْلَغُ[٢]): أي: فيَشْدَخ (رَأْسَه)، والشَّدْخُ: كَسْرُ الشيء الأجْوَف. (فَيَتَدَهْدَهُ) -بدالين بينهما هاء ساكنة وآخره هاء أخرى-: فيتدحرج (الحَجَرُ) ويَندَفِع مِن عُلُوٍّ إلى سُفْل. (هَاهُنَا): أي: إلى جهة الضارب، (فَيَتْبَعُ) -بالتخفيف- الرَّجُلُ القائمُ (الحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ)؛ لِيَصْنَع به كما صَنَع أوَّلًا، (فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ): أي: إلى الذي ثلغ رأسه (حَتَّى يُصْبِحَ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ) الرَّجُل (عَلَيْهِ)، على المضطجع، (فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى[٣]، فَقُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ اللهِ! مَا هَذَا؟ قَالَا) -أي: المَلَكَين-: (هَذَا رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ القُرْآنَ فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْل)، أي: أعْرَض عن تلاوتِه، (وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَار): ظاهره أنَّه يعذَّب على تَرْك تلاوة القرآن بالليل، لكن يحتمل أن يكون التعذيب على مجموع

---

(١) رواه البخاري برقم: (٧٠٤٧).

(٢) بفتح التحتية وسكون المثلَّثة، وبعد اللَّام المفتوحة غين معجمة.

(٣) فلو لم تكن العقوبة إلَّا تلك الصورة المخيفة لَكَفَى، فكيف وهو مع ذلك يضرب بحجر من نار؟!.

الأمرين: تَرْكِ القراءة، وتَرْكِ العمل. (**يُفْعَلُ بِهِ**) ما رأيتَ مِن الشَّدْخ (**إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**)؛ لأنَّ الإعراض عن القرآن بعد حِفْظِه جنايةٌ عظِيمَة؛ لأنه يُوهِم أنَّه رأى فيه ما يُوجِب الإعراض عنه، فلمَّا أعْرَض عن أفْضَلِ الأشياء عُوقِب في أشرف أعضائِه وهو الرَّأس.

قوله: (**يَأْخُذُ القُرْآنَ فَيَرْفضُهُ**): بكَسْر الفَاء وضَمِّها والضَّاد المعجمة، أي: يترك حِفظَه والعَمَل به. (**وَيَنَامُ**) ذاهِلًا (**عَنِ الصَّلَاةِ المَكْتُوبَةِ**): العشاء حتى يخرج وقتُها، أو الصبح؛ لأنها التي تفوت بالنوم غالبًا.

قال الإمام القاري رحمه الله في "مرقاة المفاتيح" (٧/ ٢٩٢٧): وجملة الكلام أنَّه مع ما أُعطِي من النِّعَم الجزيلة -وهي عِلْم القرآن- كان غافِلًا عن تأويلاته، ورُبَّما جَرَّ إلى نسيانه وهو من الكبائر، ولم يكن عامِلًا بأوامِره ونواهيه، مع أنَّه هو المراد من نزول القرآن.

وَلِمُسْلِمٍ[١] عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ لِقُرَّاءِ البَصْرَةِ: اتْلُوهُ، وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُم الأَمَدُ فَتَقْسُوا قُلُوبُكُمْ كَمَا قَسَتْ قُلُوبُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا طَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ اخْتَرَعُوا كِتَابًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ اسْتَحَلَّتْهُ أَلْسِنَتُهُمْ، وَكَانَ الحَقُّ يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ كَثِيرٍ مِنْ شَهَوَاتِهِمْ حَتَّى نَبَذُوا كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ[٢].

قوله: (**وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُم الأَمَدُ...**): قال السيوطي في "شرحه على مسلم" (٣/ ١٢٩): أَي: لَا تستطيبوا مُدَّة البَقَاء فِي الدُّنيَا، فَإِن ذَلِك مُفسِدٌ للقلوب بِمَا يجرُّه إِلَيْهَا من الحِرْص والقَسْوَة[٣] حَتَّى لَا تلين لِذِكْر الله، وَلَا تنْتَفع بموعظة ولَا زجر.اهـ

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٠٥٠).

(٢) **صحيح**: صححه العلامة الألباني في "الصحيحة" برقم: (٢٦٩٤).

(٣) القَسْوة -كما في "مقاييس اللغة" (٥/ ٨٧)-: غِلَظ القلب. وهي صفة ذميمة اتَّصف بها اليهود، قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[البقرة:٧٤]، وقد توعَّد الله ﷻ القاسية قلوبهم =

قوله: (إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا طَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ): أي: استطابوا مُدَّة البَقَاء فِي الدُّنيَا بما فتح اللهُ عليهم من مَلذَّاتها[١] وفسَدَت قلوبهم. (اخْتَرَعُوا كِتَابًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ اسْتَحَلَّتْهُ أَلْسِنَتُهُمْ...): أي: ابتدعوا كتابًا من قِبَل أنفسِهم، يُحِلُّون فيه ما حرَّمه الله عليهم ممَّا كان الحق يمنعهم ويردُّهم من الوصول إلى شهواتهم ومَلَذَّاتهم المحرَّمة. (حَتَّى نَبَذُوا كِتَابَ الله وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ): أي: أهمَلُوا كتاب الله ونقضوه ولم يُوفُوا بما عاهدوا به أنبياءَهم.



١٠- بَابُ مَنِ ابْتَغَى الهُدَى مِنْ غَيرِ القُرْآن

وَقَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾[الزخرف:٣٦] الآيَتَيْنِ، وقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[النحل:٨٩] الآيَة.

قوله: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: قال ابنُ عطيَّة في "تفسيره" (٥/ ٥٥): المعنى في الآية: ومَن يَقِل نظرُه في شَرعِ الله ويُغمِض جفونَه عن النَّظر في ذِكْرِ الرحمن -أي: فيما ذكَّر به عباده- ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾، أي: نُيسِّر له ونُعِد، وهذا هو العقاب

= بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، فقال عزَّ مِن قائل: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[الزمر:٢٢]، والقسوة تكون غالبًا في الأعراب وسُكَّان البوادي أكثر من غيرهم، وذلك لِبُعدِهم عن تعلُّم دين الله ﷻ، فقد جاء في "الصحيحين" عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو أَبِي مَسْعُود ﷺ، قَالَ: أَشَارَ رَسُولُ الله ﷺ بِيَدِهِ نَحْوَ اليَمَنِ فَقَالَ «**الإِيمَانُ يَمَانٍ هَاهُنَا، أَلَا إِنَّ القَسْوَةَ وَغِلَظَ القُلُوبِ فِي الفَدَّادِينَ، عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الإِبِلِ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ فِي رَبِيعَةَ وَمُضَرَ**». قال القاري في "المرقاة" (٩/ ٤٠٣٨): ... وَإِنَّمَا ذَمَّهُمْ لِبُعْدِهِمْ عَنِ الْمُدُنِ وَالْقُرَى الْمُوجِبِ لِقِلَّةِ الْعِلْمِ الْحَاصِلِ بِهِ حُسْنُ الْأَخْلَاقِ لَهُمْ وَسَائِرِ عُلُومِ الشَّرِيعَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾[التوبة:٩٧]، وفِي الحَدِيثِ: «**مَنْ بَدَا جَفَا**».اهـ

(١) وهذا فيه أنَّ كثرة الرزق سبب لطغيان الناس وفساد قلوبهم، ولذا قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[الشورى:٢٧]، وكان من دعائه ﷺ -كما في "الصحيحين" مِنْ حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ-: «**اللهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا**».

على الكفر بالحتم وعدم الفلاح، وهذا كما يقال: إنَّ اللهَ يعاقِب على المعصية بالتزيُّد في المعاصي، ويجازي على الحسنة بالتزيُّد من الحسنات.اهـ

وقال العِزُّ بنُ عبدِ السَّلام في "تفسيره": (٣/ ١٥٥): ﴿يَعْشُ﴾: يُعرِض، أو يعمَى. ﴿ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: القرآن، أو ما بيَّنه من حلالٍ وحرام، وأمْرٍ ونهْي. ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾: نُلقِيهِ شيطانًا، أو نعوِّضه، من (المُقايَضَة) وهي المعاوَضة. ﴿قَرِينٌ﴾: في الدنيا يَحمِلُه على الحرام والمعاصي، ويمنعه من الحلال والطاعات، أو إذا بُعِث مِن قبرِه شفع بيده شيطان، فلم يفارقه حتى يصير إلى النار.

قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾: قال السعديُّ في "تفسيره" (٤٤٦): أي: في أصول الدين وفروعِه، وفي أحكام الدارَين وكُل ما يَحتَاج إليه العباد، فهو مبيَّن فيه أتمَّ تبيين بألفاظ واضحة ومعانٍ جَلِيَّة، حتى إنَّه تعالى يثني فيه الأمور الكبار التي يحتاج القلب لمرورها عليه كُل وقت، وإعادتها في كُلِّ ساعة، ويعيدها ويُبدِيها بألفاظ مختلفة وأدِلَّة متنوِّعة؛ لِتَستَقِرَّ في القلوب، فتُثمِر من الخير والبِر بحسب ثبوتها في القلب، وحتى إنَّه -تعالى- يجمع في اللفظ القليل الواضح معاني كثيرة يكون اللفظ لها كالقاعدة والأساس، واعتبر هذا بالآية التي بعد هذه الآية وما فيها من أنواع الأوامر والنواهي التي لا تُحصَى.

فلمَّا كان هذا القرآن تبيانًا لكلِّ شيء صار حُجَّةَ اللهِ على العباد كلِّهم، فانقطعت به حُجَّة الظالمين، وانتفع به المسلمون فصار هُدًى لهم يهتدون به إلى أمْرِ دينِهم ودنياهم، ورحمةً ينالون به كلَّ خير في الدنيا والآخرة، فالهُدى: ما نالوه به من عِلْمٍ نافعٍ وعَمَلٍ صالِح، والرحمةُ: ما ترتَّب على ذلك من ثواب الدنيا والآخرة، كصَلاحِ القلب، وبِرِّه، وطمأنينته، وتمام العقل الذي لا يتم إلَّا بتربيته على معانيه التي هي أجَلُّ المعاني وأعلاها، والأعمال الكريمة، والأخلاق الفاضلة، والرزق الواسع، والنصر على الأعداء بالقول والفعل، ونيل رِضَا الله -تعالى- وكرامتِه العظيمة التي لا يَعلَم ما فيها من النعيم المقيم إلَّا الرَّب الرحيم.

وَعَنْ زَيدِ بْنِ أَرْقَم ﷺ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى (خُمًّا) بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَة، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**[١] **يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولٌ مِنْ رَبِّي فَأُجِيب**[٢]**، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِه**»، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «**وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»، وَفِي لَفْظٍ: «**أَحَدُهُمَا: كِتَابُ اللهِ ﷻ، هُوَ حَبْلُ الله، مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ**»[٣]، رَوَاهُ مُسْلِم[٤].

قال المناوي في "فيض القدير" (٢/ ١٧٤): قوله: (**أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ**): الحاضرون، أو أَعَم. (**يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولٌ مِنْ رَبِّي**): يعني: مَلَك الموت، (**فَأُجِيب**)، أي: أَمُوت، كنَّى عنه بالإجابة إشارةً إلى أنَّه ينبغي تَلقِّيهِ بالقَبُول، كأنَّه مجيبٌ إليه باختياره. (**وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ**): سُمِّيَا به؛ لِعِظَم شأنِهما وشرفهما. (**أَحَدُهُمَا: كِتَابُ اللهِ ﷻ**): قدَّمه لِأحقِّيَّته بالتقدُّم. (**فِيهِ الهُدَى**) مِن الضلال. (**فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِه**): فإنَّه السَّبب المُوصِل إلى المقامات العَلِيَّة

---

(١) وهذا فيه تواضعه ﷺ وامتثاله بما أمره الله ﷻ، كما في "مسلم" من حديث عياض بن حمار ﷺ، أنه ﷺ قال: «...**وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**».

(٢) وهذا فيه أن ذِكْر الموت لم يفارق قلْبَ النبي ﷺ، ولهذا كان السلف -رضوان الله تعالى عليهم- يكثرون مِن ذكر الموت، هذا الرَّبِيع بْنُ أَبِي رَاشِدٍ يقُول -كما في "الزهد الكبير" للبيهقي-: لَوْ فَارَقَ ذِكْرُ المَوْتِ قَلْبِي ساعةً لَخَشِيتُ أَنْ يَفْسُدَ، وَلَوْلَا أَنْ أُخَالِفَ مَنْ كَانَ قَبْلِي لَسَكَنْتُ الجَبَّانَةَ حَتَّى أَمُوت.

(٣) أي: مَن تَرَك كتاب الله ﷻ وسُنَّة النبيِّ ﷺ على فهم سلف الأمَّة، ومال إلى البدع والهوى كان على ضلالةٍ وشَر وإن ظَنَّ أنَّه على هدى، فإنَّ الخير كل الخير في اتباع مَن سَلَف وإن لم تطِعْك نفسُك، والشَّر كل الشر في اتباع مَن خَلَف وإن أطاعتك فيه نفسُك، فمهما بلغ عِلمُ المتأخر فليس له سبيل في مخالفة السلف. وينبغي للمسلم ألَّا يأخذ عن كل مَن هَبَّ ودب، فلابد من صِحَّة القول سندًا ومتنًا، أمَّا ما يُنشَر في مواقع التواصل -كقول بعضهم: قال فلان: قال فلان- من غير ذِكْر السَّند وبيان صِحَّتِه وضعفه فليس هذا من الدين في شيء.

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٢٤٠٨).

والسعادة الأبديَّة. (**وَأَهْلُ بَيْتِي**): أي: وثانيهما أهل بيته، وهُم من حَرُمَت عليهم الصدقة من أقربائه.

قال الحَكِيم: حضَّ على التمسُّك بهم؛ لأنَّ الأمر لهم معاينة، فهم أبْعَد عن المِحنَة، وهذا عامٌّ أُرِيدَ به خاص، وهم العلماء العاملون منهم، فخَرَج الجاهل والفاسق[١]، وهُمْ بَشَر لم يعروا عن شهوات الآدميِّين، ولا عُصِمُوا عِصمَة النبيِّين، وكما أنَّ كتاب الله منه ناسِخٌ ومنسوخٌ فارتفع الحُكْم بالمنسوخ، هكذا ارتفعت القدرة بغير علمائهم الصُّلحَاء، وحثَّ على الوصية بهم لما علم ممَّا سيصيبهم بعده من البلايا والرزايا. انتهى.

(**أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**): أي: في الوصية بهم، واحترامهم، وكرَّره ثلاثًا للتأكيد. قال الفخر الرازي: جعل الله -تعالى- أهلَ بيتِه مساوين له في خمسة أشياء: في المحبة، وتحريم الصدقة، والطهارة، والسلام، والصلاة، ولم يقع ذلك لغيرهم.

وقوله: (**هُوَ حَبْلُ الله**): أي: هو الوصلة التي يوثق عليها، فيَستَمسِك بها مَن أراد الرُّقِي والعروج إلى معارج القُدْس وجوار الحق، كأنه قِيلَ: ما السَّبب الموصِل إلى الله الذي في السماء سلطانُه؟ فقَال: هو التمسُّك بالقرآن. والسَّبب في أصل اللُّغَة: هو الحبل. (**مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ**): أي: أخطَأ طريق السعادة، وهلَك في ميادين الحيرة والشقاوة.

وَلَهُ[٢] عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا خَطَبَ يَقُولُ: «**أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَر الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُل بِدْعَةٍ ضَلَالَة**».

---

(١) وهذا فيه أن الجاهل والفاسق منهم كغيره من عامَّة المسلمين، بخلاف مَن كان منهم متمسِّكًا بالكتاب والسُّنة، فهذا يجِب محبَّتُه وتقديرُه واحترامه، والله أعلم.

(٢) أي: لمسلم برقم: (٨٦٧).

قال الإمام أبو الحسن الهروي القاري في كتابه «مرقاة المفاتيح» (١/ ٢٢٣): المفهوم من قوله: (أَمَّا بَعْدُ[١]): أنَّه ﷺ قال ذلك في أثناء خطبتِه أو موعِظَته؛ لأنَّه فصل الخطاب، وأكثرُ استعمالِه بعد تقدُّم قِصَّةٍ، أو حمدِ الله سبحانه، والصلاةِ على النبي ﷺ. اهـ

قوله: (فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله): قال المناوي في «فيض القدير» (٢/ ١٧١): اقتباس من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾[الزمر:٢٣]، فهو -لإعجازِه وإفهامِه ما اشتمل عليه من أخبار الأُمَم، والأحكام، والمواعظ، ومنفعة الخلق، وتناسب الألفاظ وتناسقها في التخيُّر والإصابة، وتجاذُب نَظمِه وتآليفِه في الإعجاز والتَّبكِيت[٢]- أَحْسَنُ حَدِيث. (وَخَيْر الهَدْي هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ): أي: أحسَن الطرق طريقتُه وسمته وسيرتُه. (وَشَر الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا): جمع (مُحْدَثَة) بالفتح، وهي كما سبق: ما لم يُعرَف من كتاب ولا سُنَّة ولا إجماع[٣]. (وَكُل بِدْعَةٍ ضَلَالَة): أي: فِعْلَة أُحدِثَت على خلاف الشرع ضلالة؛ لأنَّ الحق فيما جاء به الشارع، فما لا يرجع إليه يكون ضلالةً؛ إذ ليس بعد الحق إلَّا الضلال[٤].

---

(١) قال الطيبي -كما في «فيض القدير» (٢/ ١٧١)-: (أَمَّا): وُضِع للتفصيل، فلا بُدَّ من التعدُّد، ونقل عن أبي حاتم أنه لا يكاد يوجد في التنزيل (أمَّا) ومَا بعدها إلَّا وثُنِّي وثُلِّث، كقوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ﴾، ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ﴾[الكهف:٧٩،٨٢]، وعامِلُه مقدَّر، أي: مهما يكن بعد تِلْك القضيَّة.اهـ وقوله: (بَعْد): مبنيٌّ على الضم بحذف المضاف إليه مع نِيَّة معناه، أي: بعد ما تقدَّم من الحمد والصلاة. قاله القاري.

(٢) أي: التوبيخ والتعنيف.

(٣) وإن صدر القولُ عمَّن صدر، فكل ما لم يُعرَف من كتاب ولا سنة ولا إجماع فليس من الدين في شيء، والغالب في هؤلاء أنَّ الحامل عليه مجرَّد شهوة أو شبهة أو إرادة خلاف وتعنُّد، وإلَّا فهُمْ أعْلَم النَّاس بأنَّ ما هُم عليه ليس من الدين في شيء، ولذا يَبْهَت أحدُهم عند أن يقال: لم يأت ما تدعون إليه في كتاب ولا سُنَّة، ولم يُنقَل عن أحدٍ من الصحابة والتابعين.

(٤) وينبغي للخطيب أن تكون خطبته في الترقيق بالموت وسكراته، والحشر وأهواله، والنار وعذابها، والزهد في الدنيا، والإقبال على الأعمال الصالحة، ونحو ذلك، فلا تكون خطبتُه في السياسة أو الاقتصاد أو تهييج الناس، ونحو ذلك، فهذا لا ثمرة فيه، بل ربما جَرَّ على البلاد والعباد الويلات.

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ مَالِك ﷺ قَالَ: نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ القُرْآنَ فَتَلاَهُ عَلَيْهِمْ زَمَانًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله لَوْ قَصَصْتَ عَلَيْنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾[يونس:١] الآيَة، فتَلاَهُ عَلَيْهِمْ زَمَانًا. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِم بِإِسْنَادٍ حَسَن. وَلَهُ عَنِ المَسْعُودِي، عَنْ القَاسِم، أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ الله ﷺ مَلُّوا مَلَّةً فقَالُوا: حَدِّثْنَا يَا رَسُولَ الله، فنَزَلَتْ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾[الزمر:٢٣]، ثُمَّ مَلُّوا مَلَّةً فقَالُوا: حَدِّثْنَا يَا رَسُولَ الله، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[الحديد:١٦] الآيَة[١]، وَرَوَاهُ عُبَيْدٌ عَنْ بَعْضِ التَّابِعِينَ، وفِيهِ: (فَإِن طَلَبُوا الحَدِيثَ دُلَّهُمْ عَلَى القُرْآن)[٢].

قوله: (لَوْ قَصَصْتَ عَلَيْنَا...) الحَدِيث: قال أبو جعفر في "شرح مشكل الآثار" (٣/ ١٩٥): فكان في هذا الحديث سؤالهم رسول الله ﷺ القصص عليهم، أي: لِتَلين بذلك قلوبُهم، فأنزل الله ﷻ عليه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾[يوسف:٣]، فأعلمهم ﷻ أنَّه لا حاجة بهم إلى القصص مع القرآن؛ لأنَّه لا يقص عليهم أنفع لهم منه، ثم سألوا أن يحدِّثهم، فأنزل الله ﷻ عليه في ذلك ما أنزَل عليه من أجلِه ممَّا ذكر في هذا الحديث، وكُلُّ ذلك يردُّهم إلى القرآن؛ لأنهم لا يرجعون إلى شيء يجدون فيه الذي يجدون في القرآن. وبالله التوفيق.

قوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ﴾: قال العلامة السعدي في "تفسيره" (٧٢٢): يُخبِر -تعالى- عن كتابه الذي نزَّله أنه ﴿أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ على الإطلاق، فأحسن الحديث كلام الله، وأحسن الكُتُب المنزَّلة من كلام الله هذا القرآن، وإذا كان هو الأحسن عُلِم أنَّ ألفاظَه أفْصَح الألفاظ وأوضحُها، وأنَّ معانيه أجَلُّ المعاني؛ لأنَّه أحسن الحديث في

(١) **صحيح:** صحَّحه الألباني في "التعليقات الحسان" برقم: (٦١٧٦)، وأورد العلامةُ الوادعيُّ حديثَ سعد ابن مالك ﷺ في "الصحيح المسند من أسباب النزول" (١٢٠).

(٢) **ضعيف:** ضعَّفه شيخنا الهمام أبو عبدالله محمد بن عبدالله باجمال حَفِظَهُ اللهُ في كتابه "قلائد المرجان" (١٥٢).

لفظِه ومعناه، ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ في الحسن والائتلاف وعدم الاختلاف بوجه من الوجوه، حتى إنَّه كلَّما تدبَّره المتدبر وتفكَّر فيه المتفكِّر رأى من اتفاقه حتى في معانيه الغامضة ما يُبهِر الناظرين، ويجزم بأنَّه لا يصدر إلَّا من حكيم عليم، هذا المراد بالتشابه في هذا الموضع.

قال المصنف في كتابه "تفسير آيات من القرآن الكريم" (١٢٨): وهذا مما يُبيِّن جلالةَ القرآن؛ لأن فيه دلالة على أنَّ عِلْمَه ﷺ من القرآن، وفيه دلالة على جلالةِ الله وقُدرَتِه، ودلالة على عظيم نعمتِه على نبيِّه ﷺ، وفيه دلالة على كَذِب مَن ادَّعى أنَّ غيرَه من الكتب أوضح منه.اهـ

قوله: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: قال ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللهُ بِهَذِهِ الآيَةِ -﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[الحديد: ١٦]- إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ[(١)]. قال السعدي: أي: ألم يجئ الوقت الذي تلين به قلوبهم وتخشع[(٢)] لذكر الله الذي هو القرآن، وتنقاد لأوامره وزواجره، وما نزل من الحق الذي جاء به محمد ﷺ؟! وهذا فيه الحث على الاجتهاد على خشوع القلب لله تعالى، ولِمَا أنزلَه

(١) رواه مسلم: (٣٠٢٧).

(٢) قال الجنيد -كما في "نضرة النعيم" (٥/ ١٨٢٥)-: الخُشُوع: تذلُّل القلوب لعلَّام الغيوب. والخشوع من صفات أهل الإيمان، وهو دليل الفلاح في الدنيا والآخرة، قال الله ﷻ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾[المؤمنون:١-٢]، وقال ﷻ: ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾[الفتح:٢٩]، قال مجاهد رحمه الله -كما في "تفسير القرطبي" (١٦/ ٢٩٣)-: هو الخشوع والتَّواضع. وهو سببٌ من أسباب إجابة الدعاء في حالة الرخاء والشدة، قال الله ﷻ: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[الأنبياء:٩٠]، وبيَّن النبي ﷺ أنَّ الخشوع سببٌ لتكفير الذنوب، فقد جاء عند "مسلم" من حديث عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِن امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَة، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوب، مَا لَمْ يُؤْتَ كَبِيرَة، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ**»، ولِعِظَم شأن الخشوع كان النبيُّ ﷺ كثيرًا ما يستعيذ بالله ﷻ من قَلْبٍ لا يخشع، فقد جاء في "صحيح مسلم" من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا**».

من الكتاب والحكمة، وأن يتذكر المؤمنون المواعظ الإلهية والأحكام الشرعية كل وقت، ويحاسِبوا أنفسَهم على ذلك.

وَكَانَ مُعَاذُ بْنُ جَبَل ﵁ يَقُول فِي مَجْلِسِهِ كُلَّ يَوْم -قَلَّ مَا يُخْطِئُهُ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ-: اللهُ حَكَمٌ قِسْطٌ، هَلَكَ الْمُرْتَابُون، إِنَّ وَرَاءَكُمْ فِتَنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ(١)، وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ حَتَّى يَقْرَأَهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ(٢) وَالْمَرْأَةُ وَالصَّبِي(٣)، فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ: مَا لِلنَّاسِ لَا

(١) الْمَالُ: كل مَا يملكهُ الفَرْد أَو تَملِكه الجَمَاعَة مِن مَتَاع، أَو عرُوضِ تِجَارَة، أَو عَقَار، أَو نقود، أَو حَيَوَان، والجمع (أَمْوَال). وقد ذكر الله ﷻ في كتابه الكريم أنَّ المال فتنة، فقال عزَّ مِن قائل: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾[الأنفال:٢٨]، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾[التغابن:١٥]، وجاء في "الصحيحة" للعلامة الألباني من حديث كعب بن عياض ﵁، أن رسول الله ﷺ قال: **«إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ»**، وقد دعا النبيُّ ﷺ على مَن انشغل بجمع المال عن طاعته ﷻ، فقد جاء في "البخاري" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ الله، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»**، والمرء مهما رزقه الله ﷻ من المال يتمنَّى أن يزداد من ذلك وإن أُعطِيَ مثل مالِ قارون، ففي "الصحيحين" من حديث ابن عباس وأنس ﵃ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لاَبْتَغَى ثَالِثًا، وَلاَ يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ»**، فليس ثمَّت شيء يشفي به الله الصدور كالقناعة، كما ثبت في "صحيح مسلم" عَنْ عَبْدِالله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﵁، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: **«قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ»**، وقد ذَمَّ النبيُّ ﷺ التُّجَّار أربابَ المال إلَّا مَن بَرَّ وصَدَق، ففي "الصحيحة" للعلامة الألباني من حديث عبدالرحمن بن شبل ﵁، أن النبيَّ ﷺ قال: **«إِنَّ التُّجَّارَ هُمُ الفُجَّار»**، قيل يا رسول الله: أوَلَيْسَ قد أحلَّ اللهُ البيع؟ قال: **«بَلَى، وَلَكِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ فَيَكْذِبُون، وَيَحْلِفُونَ فَيَأْثَمُون»**.

(٢) وهذه من علامات قُرْب وقوعِ الساعة، فقد جاء في "صحيح الترغيب والترهيب" للألباني ؒ من حديث ابن مسعود ﵁، أنه قال: كيف بكم إذا لبِستْكُم فِتنةٌ يَربُو فيها الصغيرُ ويَهرَمُ فيها الكبيرُ، وتُتَّخَذُ سنةً، فإن غُيِّرَتْ يومًا قِيلَ: هذا مُنكَرٌ! قِيلَ: ومَتَى ذَلِك؟ قال: إذا قلَّت أُمَنَاؤُكم، وكَثُرتْ أُمَراؤُكم، وقَلَّتْ فُقَهاؤُكم، وكَثُرتْ قُرَّاؤُكم، وتُفُقِّهَ لِغيرِ الدِّين، والتُمست الدنيا بعَمَلِ الآخرةِ.

(٣) فائدة في أسماء المولود في أطواره المختلفة: قال الحافظ ابن حجر في "الفتح" (٥/ ٢٧٩): أحوال المولود منذُ يكون جَنِينًا إلى أن يصير إلى أَقصَى العمر، فهو قبل أن يُولَد (جَنِينٌ)، ثم إذا وُلِد (صَبِيٌّ)، فإذا فُطِم (غُلَامٌ)، فإذا بلغ سبعًا (يَافِعٌ)، فإذا بلغ عشرًا (حَزَوَّرٌ)، فإذا بلغ خمس عشرة (قُمُدٌّ)، فإذا بلغ خمسًا =

يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ؟ مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَه، فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ؛ فَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَإِيَّاكُمْ وَزَيْغَةَ الحَكِيمِ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الحَقِّ، فَتَلَقُّوا الحَقَّ مِمَّنْ جَاءَ بِهِ، فَإِنَّ عَلَى الحَقِّ نُورًا. الحدِيثُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُد»[١].

وَرَوَى البَيْهَقِيُّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْر، أَنَّ عُمَرَ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ السُّنَنَ، فَاسْتَشَارَ الصَّحَابَة فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِذَلِكَ، ثُمَّ اسْتَخَارَ اللهَ شَهْرًا، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي ذَكَرْتُ قَوْمًا كَانُوا قَبْلَكُمْ كَتَبُوا كُتُبًا فَأَكَبُّوا عَلَيْهَا وَتَرَكُوا كِتَابَ الله ﷻ، وَإِنِّي -وَاللهِ- لَا أُلْبِسُ كِتَابَ الله بِشَيْءٍ أَبَدًا»[٢].

قوله: (قَلَّ مَا يُخْطِئُهُ...): فيه أنه رضي الله عنه كان لا يترك هذه النصيحة إلَّا ما ندر، فكان يُذكِّرُهم أنَّ اللهَ ﷻ حَكَمٌ عَدْلٌ في أحكامِه وقضائِه وجزائه، وأنَّ المتشكِّك المضطرب في ذلك هالِك، وأنَّه يأتي على الأُمَّة فِتَنٌ يَكثُر فيها المال ويَنتشِرُ فيها القرآن، فيتعلَّمه الرجالُ والنساءُ والكِبَار والصِّغَار، فيَقِلُّ العَمَل به ويَقِلُّ أَتبَاعُ قُرَّائِه؛ لكثرة كَذِبهم وأَكْلِهِم أموالَ النَّاس به، حتى يقول أحدُهُم مِمَّن لا يعمل به: ما أَظُنُّ أن يتَّبِعُوني حتى أبتَدِع لهم فِكرَةً مُحدَثَة لا مَثِيلَ لها، فيأتي بأهواء ليست في كتاب الله ولا في سنة النبيِّ ﷺ، فيَجِد بها المال من قِبَل أعداء الله -عَلِم ذلك أو جَهِلَ- ويُنفِقُه فيما جاء به من الهَوَى، فيَتبَعُه فِئَامٌ من الناس، فاحذروا بدعتَه، ولا تغترُّوا بقراءتِه وتلبُّسِه بثياب الخير والهداية وإظهاره للزُّهْد الزَّائِف، فيُضِلَّكم عن الهدى، واحذروا اتباع زَيْغَةَ الحكيم، وإنَّ المنافق قد يقول كلِمةَ الحق، فاقْبَلْها منه إن ثبتَت في كتاب الله أو

= وعشرين (عَنَطْنَطٌ)، فإذا بلغ ثلاثين (صُمُلٌّ)، فإذا بلغ أربعين (كَهْلٌ)، فإذا بلغ خمسين (شَيْخٌ)، فإذا بلغ ثمانين (هِمٌّ)، فإذا بلغ تسعين (فَانٍ).

(١) **صحيح:** صححه الألباني في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" برقم: (٤٦١١).

(٢) **ضعيف:** ضعَّفه شيخنا الهمام أبو عبدالله محمد بن عبدالله باجمال حَفِظَهُ اللهُ في كتابه "قلائد المرجان" (١٥٦)، ولم نشرحه لِضَعْفِ سنَده ونكارة مَتنِه، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنَّه رخَّص في ذلك كما في "الصحيحة" للعلَّامة الألباني من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا وفيه: «**اكْتُبْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ**»، فدَلَّ هَذَا علَى أَنَّ الكِتَابَةَ مِمَّا يُحْفَظُ بِهِ العِلمُ ويَعرِف به الناس أحكامَ دينهم.

في سنة النبيِّ ﷺ على فَهْم سَلَف الأُمَّة، لا على خلَفِها، ولا تُجالِسْهُ، فإنَّ مجالَسَتَه مُمرِضَةٌ لِلقَلْب.



١١- بَابُ الغُلُوِّ(١) في القُرْآن

فِيهِ حَدِيثُ الخَوَارِجِ المُتَقَدِّمِ(٢). وفي «الصحيح»(٣) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ(٤) الدَّهْرَ، وَتَقْرَأُ القُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ؟»**، قُلْتُ:

---

(١) الغُلوُّ: قال المناوي في «التوقيف» (٢٥٣): هو تجاوُز الحدِّ. وهو صفة ذميمة اتَّصف بها اليهود والنصارى وأهلُ الزيغ والضلال، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[المائدة:٧٧]، وقد نهى النبيُّ ﷺ عن الغُلوِّ وذكر أنه سببٌ لهلاك الأُمَم، فقد جاء في «صحيح البخاري» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: **«إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَه، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»**، وجاء في «صحيح سنن النسائي» للعلَّامة الألباني، من حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما، قال: قال لي رسول الله ﷺ غَدَاةَ العقبة وهو على راحِلَتِه: **«هَاتِ الْقُطْ لِي»**، فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُنَّ فِي يَدِهِ قَالَ: **«بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»**.

قال أبو جَعْفَر الطَّحَاوِيُّ رحمه الله في «الطَّحاويَّة» (٢/ ٧٨٦): وَدِينُ الله فِي الأَرْض والسَّماء واحِد، وهو دين الإسلام، وهو بين الغُلوِّ والتَّقصير، وبين التَّشبيه والتَّعطيل، وبين الجَبْر والقَدَر، وبين الأمْن واليأس. وقال ابنُ حجر رحمه الله في «فتح الباري» (١/ ٩٤): لا يتعمَّقُ أحدٌ في الأعمال الدِّينيَّة ويترك الرِّفْقَ إلَّا عَجز وانقطع، فيغلب.

(٢) وقد مضى في (باب إثم مَن فجر بالقرآن).

(٣) البخاري: (٥٠٥٢)، مسلم: (١١٥٩).

(٤) الصِّيامُ في اللُّغَة -كما في «الفتح»-: الإمساك. وفي الشَّرع: إمساكٌ مخصوص في زمن مخصوص عن شيء مخصوص بشرائط مخصوصة. وقيل: هو الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس تعبُّدًا لله تعالى. وقد حث النبيُّ ﷺ على صيام النافلة، وهو سبب لدخول الجنة والنجاة من النار، فقد جاء في «الصحيحين» منْ حديث أَبي سَعيدٍ الخُدْري رضي الله عنه، قال: سمعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يقُول: **«مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ الله بَاعَدَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»**، ولا يشترط في نيَّة =

بَلَى يَا رَسُولَ الله، وَلَمْ أُرِدْ بِذَلِكَ إِلَّا الخَيْر، قَالَ: «فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ، فَإِنَّهُ كَانَ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَاقْرَأِ القُرْآنَ كُلَّ شَهْرٍ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عِشْرِين»، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرٍ»، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ، وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِك».

قال المناوي في «فيض القدير» (٢/ ٦٠): قوله: (اقْرَأِ القُرْآنَ كُلَّ شَهْرٍ): أي: بأن تقرأ في كل يوم وليلةٍ جُزءًا من ثلاثين. (اقْرَأْهُ فِي كُلِّ عِشْرِين): في كلِّ يوم وليلةٍ ثلاثة أحزاب. (اقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرٍ): بأن تقرأ في كل يومٍ وليلةٍ ستة أحزاب. (اقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ): أي: في كُلِّ أسبُوع، (وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِك): فإنَّ قارئَه ينبغي أن يتفكَّر في معانيه وأمره ونهيه ووَعْدِه ووَعِيدِه، وتدبُّرُ ذلك لا يَحصُل في أقل من أسبوع، وأنَّى به؟

ومِن ثَمَّ رأى جَمعٌ [مِن أهْل العِلْم] قراءتَه في الأسبوع من الوِرْد الحسَن. قال [النووي ﵀] في «الأذكار»: وهذا فِعْلُ الأكثرين من السَّلف. قال الدَّمامِينِيُّ: ولهذا الحديث مَنَع كثيرٌ من العلماء الزيادة على السبع.اهـ

واختار النوويُّ اختلافَ القَدْر باختلاف الأشخاص بالنسبة لسريع الفهم وغيره، قال فمَن كان مِن ذَوِي الفَهْم وتدقيق الفكر يُندَب له الاقتصار على القَدْر

= صوم النفل أن تكون من الليل، بل يجوز أن يَنويَ ولو بعد طلوع الشمس ما لم يحصل منه مبطلات الصوم، كالأكل والشرب والجماع ونحوها، ففي «صحيح مسلم» منْ حديث عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ﵂ قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ: «يَا عَائِشَةُ، هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟»، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ، قَالَ: «فَإِنِّي صَائِمٌ»، قَالَتْ: فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ فَأُهْدِيَتْ لَنَا هَدِيَّةٌ -أَوْ جَاءَنَا زَوْرٌ- فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ الله ﷺ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أُهْدِيَتْ لَنَا هَدِيَّةٌ -أَوْ جَاءَنَا زَوْرٌ- وَقَدْ خَبَأْتُ لَكَ شَيْئًا، قَالَ: «مَا هُوَ؟»، قُلْتُ: حَيْسٌ، قَالَ: «هَاتِيهِ»، فَجِئْتُ بِهِ فَأَكَلَ ثُمَّ قَالَ: «قَدْ كُنْتُ أَصْبَحْتُ صَائِمًا».

وينبغي للمسلم أن يُكثِر من صيام النافلة بقدر المستطاع، ففي «صحيح مسلم» عَنْ عَبْدِالله بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ ﵂: أَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَصُومُ شَهْرًا كُلَّهُ؟ قَالَتْ: «مَا عَلِمْتُهُ صَامَ شَهْرًا كُلَّهُ إِلَّا رَمَضَانَ، وَلَا أَفْطَرَهُ كُلَّهُ حَتَّى يَصُومَ مِنْهُ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ ﷺ».

الذي لا يخل به المقصود من التدبُّر واستنباط المعاني، وكذا مَن له شُغل بعِلْم أو غيره من مهمَّات الدين ومصالح المسلمين العامَّة يُندَب له الاقتصار على قَدْر لا يخل بما هو فيه، ومن يكن كذلك فالأَولَى له الإكثار ما أَمْكَنَه من غير خروج إلى المَلَل، ولا يقرؤه هذرمة.اهـ

وَلِمُسْلِمٍ[(١)] عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: **«هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»**، قَالَهَا ثَلَاثًا. وَلِأَحْمَدَ[(٢)] عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِبْلٍ مَرْفُوعًا: **«اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، وَلَا تَغْلُوا فِيهِ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ، وَلَا تَسْتَكْثِرُوا بِهِ»**.

قال الإمام النووي رحمه الله في "شرحه على مسلم" (١٦/ ٢٢٠): (**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**): أي المتعمِّقون الغَالُون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

قال الإمام أبو الحسن الهروي القاري في كتابه "مرقاة المفاتيح" (٧/ ٣٠١٢): قوله: (**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**): أي: المتكلِّفون في الفصاحة، أو الْمُصوِّتُون من قَعْر حلوقِهم، والمردِّدون لكلامِهم في أفواهِهم رُعُونَةً في القول. قال التوربشتي: أرادَ بهم المتعمِّقِين الغالين في خَوضِهم فيما لا يعنيهم من الكلام، والأصل في المتنطع: الذي يتكلَّم بأقصى حلقِه، مأخوذًا من (النَّطْع) وهو الغار الأعلى. (**قَالَهَا**): أي: هذه الكلمة أو الجملة (**ثَلَاثًا**): إنما ردَّد القول ثلاثًا تهوِيلًا وتنبيهًا على ما فيه من الغائلة، وتحريضًا على التيقُّظ والتبصُّر دونَه، وكم تحتَ هذه الكلمة من مُصِيبَة تَعُود على أهل اللسان والمتكلِّفين في القول، الذين يَرُومُون بِسَبْك الكلام سَبْيَ قلوب الرجال، نسأل الله العافية من الدخول في الأوحال.اهـ

قوله: (**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، وَلَا تَغْلُوا فِيهِ...**): قال العَيْنِي في كتابه "عمدة القاري" (٢١/ ٢٦٤): قولُه: (**لَا تَغْلُوا**): مِن (الغُلُوِّ) بالغين المعجمة، وهو التشدُّد والمجاوزة

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٧٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد برقم: (١٥٥٢٩)، وصحَّحه الألباني في "الصحيحة" برقم: (٣٠٥٧).

عن الحد. (وَلَا تَجْفُوا): أي: تعاهدوه ولا تبعدوا عن تلاوته، وهو مِن (الجَفَاء)، وهو البُعْد عن الشيء. قوله: (وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ): أي: بمقابلةِ القرآن، أراد: لا تجعلوا له عوضًا من سُحْت الدنيا.اهـ

وَعَنْ أَبِي رَافِعٍ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ أَمْرٌ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ الله اتَّبَعْنَاهُ»، رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَالتِّرمِذِي[(١)].

قوله: (لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ): قال السيوطي في كتابه "قوت المغتذي" (٢/ ٦٦٤): قال الطيبي: (أَلْفَيْتُ الشَّيءَ): وجدتُه، وهو كقولهم: (لَا أَرَيَنَّكَ هَاهُنَا)، نهى رسول الله ﷺ نفسَه عن أن يراهم على هذه الحالة، والمراد: نهيُهم عن أن يكونوا على تِلْك الحالة، والأَرِيكَة: سريرٌ مُزَيَّن في قُبَّة أو بيت. (يَأْتِيهِ أَمْرٌ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ): بيان للأمر الذي هو الشأن؛ لأنه أعم من الأمر والنَّهي. وقوله: (فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي): أي: لا أدري غير القرآن، ولا أتَّبع غيرَه[(٢)].

قوله: (مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ الله اتَّبَعْنَاهُ): قال القاري في "مرقاة المفاتيح" (١/ ٢٤٦): يعني: وما وجدناه في غيره لا نتَّبِعُه، أي: وهذا الأمر الذي أَمَر به ﷺ أو نَهَى عنه لم نَجِدْه في كتاب الله، فلا نتَّبِعْه، والمعنى: لا يجوز الإعراض عن حديثه ﷺ؛ لأنَّ المُعرِض عنه مُعرِضٌ عن القرآن.



(١) **صحيح**: رواه أبو داود في "سننه" برقم: (٤٦٠٥)، والترمذي في "سننه" برقم: (٢٦٦٣)، وصحَّحه العلامة الوادعي رحمه الله في "الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين" برقم: (٧٣).

(٢) وهو مرتَّب على (يأتيه)، والجملة كما هي حال أخرى من المفعول، ويكون النَّهيُ مُنصَبًّا على المجموع، أي: لا ألفين أحدكم وحاله أنه متَّكِّئٌ ويأتيه الأمر فيقول: لا أدري.

١٢- بَابُ مَا جَاءَ فِي اتِّبَاعِ المُتَشَابِهِ

فِي «الصَّحِيحِ»[(١)] عَنْ عَائِشَةَ ﵂، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَرَأَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[آل عمران:٧]، فَقَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»[(٢)].

---

(١) البخاري: (٤٥٤٧)، مسلم: (٢٦٦٥).

(٢) وقد حذَّر السلف -رضوان الله تعالى عليهم- من مُتَّبِعِي المتشابه وأهل الزيغ والضلال أشدَّ التحذير:

- قال الحسن البصري -كما في «الاعتصام» (١/ ١١٣)-: لَا تُجالِسْ صاحِبَ بدعة فإنَّه يُمرِض قَلْبَك.
- وقال الشَّافعيُّ ﵀ -كما في «الاعتقاد» للبيهقي (٢٣٩)-: لأَنْ يلقَى اللهَ العبدُ بكلِّ ذَنْبٍ ما خلا الشِّرك خيرٌ له من أن يلقاه بشيءٍ من الهَوَى.اهـ ومصداق هذا قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[الشورى:٢١]، قال السعدي ﵀: أي: من الشِّرك والبدع، وتحريم ما أحلَّ الله، وتحليل ما حرَّم الله، ونحو ذلك ممَّا اقتضته أهواؤهم.
- وقال أبو قلابة -كما في «سنن الدارمي» برقم: (٤٠٥)-: لا تجالسوا أهل الأهواء فإني لا آمَن أن يَغمِسُوكُم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون.
- وقال مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ -كما في «مكارم الأخلاق» للخرائطي برقم (٩٠٠)-: رَجُلَانِ لَا تَصْحَبْهُمَا: صَاحِبُ مَأْكَلِ سُوءٍ، وَصَاحِبُ بِدْعَةٍ.
- وقال الإمام مالك ﵀ -كما في «الاعتصام» (١/ ٦٤)-: مَن ابتدع في الإسلام بدعةً يراها حسنةً فقد زعم أنَّ محمَّدًا ﷺ خانَ الرِّسالة؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[المائدة:٣]، فما لم يكن يومئذ دينًا فلا يكون اليوم دينًا.
- وسُئِل إبراهيم الخوَّاص ﵀ عن العافية فقال: العافية أربعةُ أشياء: دِينٌ بلا بدعة، وعَمَل بلا آفة، وقَلْب بلا شغل، ونفس بلا شهوة. «الاعتصام» (١/ ١٢٩).
- وقال حسَّان بن عطيَّة -كما في «سنن الدارمي» برقم: (٩٩)-: ما ابتَدع قومٌ بدعة في دينهم إلَّا نزع الله من سُنَّتِهم مثلَها، ثُمَّ لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة.
- وقال الأوزاعيُّ ﵀ -كما في «شرح السُّنَّة للَّالَكائي» (١١/ ٢)-: اصبِرْ نفسَكَ على السُّنَّة، وقِف حيث وقَف القوم، وقُل بما قالوا، وكُفَّ عمَّا كفُّوا عنه، واسلُك سبيل سلفِك الصَّالح، فإنَّه يسعُك ما وسِعَهم.
- وقال سفيان الثَّوري ﵀ -كما في «تلبيس إبليس» (١٥)-: البدعة أحَبُّ إلى إبليس من المعصية؛ المعصية يُتَاب منها، والبدعة لا يُتاب منها. =

قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: قال العلَّامة السعدي في "تفسيره" (٩٦٢): يخبر -تعالى- عن عظمتِهِ وكمال قيُّوميَّتِهِ أنَّه هو الذي تفرَّد بإنزال هذا الكتاب العظيم، الذي لم يوجد -ولن يُوجَد- له نظيرٌ أو مقارِب في هدايته وبلاغتِهِ وإعجازه وإصلاحه للخلق، وأنَّ هذا الكتاب يحتوي على المحكم الواضح المعاني البيِّن الذي لا يشتبه بغيره، ومنه آيات متشابهات تحتمل بعض المعاني، ولا يتعين منها واحد من الاحتمالين بمجرَّدها حتى تُضَمَّ إلى الْمُحكَم.

فالذين في قلوبهم مَرَضٌ وزَيغٌ وانحراف لِسُوءِ قصدهم يتَّبعون المتشابه منه، فيستدلون به على مقالاتهم الباطلة وآرائهم الزائفة؛ طلبًا لِلفِتْنَة وتحريفًا لكتابه وتأويلًا له على مشاربهم ومذاهبهم لِيَضِلُّوا ويُضِلُّوا.

وأمَّا أهلُ العلم الراسخون فيه الذين وَصَل العلم واليقين إلى أفئِدَتِهم، فأثمر لهم العمل والمعارف، فيعلمون أنَّ القرآن كلَّه من عند الله، وأنَّ كلَّه حقٌّ: مُحكَمه ومتشابهه، وأنَّ الحقَّ لا يتناقض ولا يختلف، فلعلمهم أنَّ المحكمات معناها في غاية الصراحة والبيان، يردون إليها المشتبه الذي تحصل فيه الحيرة لناقص العلم، وناقص المعرفة، فيردون المتشابه إلى الْمُحكَم، فيعود كلُّه مُحكَمًا، ويقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ للأمُور النافعة والعلوم الصائبة ﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾، أي: أهل العقول الرزينة.

ففي هذا دليل على أنَّ هذا مِن علامة أولِي الألباب، وأنَّ اتباع المتشابه من أوصاف أهلِ الآراء السقيمة والعقول الواهية والقصود السيئة"[1].

= • وقال الفضيل بن عياض -كما في المصدر السابق-: إذا عَلِم الله مِن رجُلٍ أنَّه مُبغِض لصاحبِ بِدعَة رَجَوتُ أنْ يغفر الله له سيِّئاته. وقال -كما في "الحلية"- (٨/ ١٠٨): مِن علامة البلاء أن يكون الرَّجُل صَاحِب بدعة.

(١) كالرافضة والخوارج ومن نَحَا نحوَهم من أهل الزيغ والضلال، ومن هذا الباب ما يُسمَّى اليوم بـ(الذكاء الاصطناعي)، فكان حقُّه أن يُسمَّى بـ(الغباء الاصطناعي)، فهو مجرَّد جمع معلومات من جهات متفرقة بعضها عن طريق المستشرقين، وبعضها -بل أغلبها- عن طريق أهل الزيغ والطغيان، =

وقوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: إنْ أُرِيدَ بالتأويل معرفةُ عاقبةِ الأمور وما تنتهي وتَؤُول إليه تعيَّن الوقوف على ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾، حيث هو -تعالى- المتفرِّد بالتأويل بهذا المعنى، وإن أُرِيدَ بالتأويل معنى التفسير ومعرفة معنى الكلام كان العطف أَوْلى، فيكون هذا مَدحًا للراسخين في العِلْم أنَّهم يعلمون كيف يُنزلون نصوصَ الكتاب والسُّنَّة مُحكَمها ومتشابهها.

قوله: (إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ...): قال جمال الدين أبو الفرج الجوزي في كتابه "كشف المشكل من حديث الصحيحين" (٤/ ٢٥٧): اختَلَف العلماء في المحكم والمتشابه على أقوال كثيرة قد ذكرتها في "التفسير"، وأظْهَر الأقوال في المحكم أنَّه الذي يتبيَّن معناه بنفسِ تلاوتِه، وأمَّا المتشابه فينقسم: فمنه ما إذا رُدَّ إلى المُحكَم واعتُبِر به عُقِل معناه، ومنه ما لا سبيلَ إلى معرفة كُنهِهِ، وهو الذي انفرد الحقُّ ﷻ بعِلْمه، وهو الذي يتبعه أهلُ الزيغ ويطلبون سِرَّه، كالقدر ونحوه، فالباحث عن مِثْل هذا طالِبٌ للفتنة، ولا يبعد أن يتعبَّدنا الله ﷻ بما طريقُنا فيه تسليم الأمر.

قال أبو عثمان النَّيسابوريُّ -كما في "الاعتصام" (١/ ١٢٨)-: مَن أمَّر السُّنَّة على نفسِه قولًا وفِعلًا نَطَق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى[(١)] على نفسِه قولًا وفِعلًا نطق بالبدعة، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾[النور:٥٤].

= فلا يعوَّل عليه، فقد نُوقِش في بعض المسائل فحصل منه من الخَلْط ما الله به عليم، فتارةً يجيزُها وتارةً يمنعها، وتارةً يقول: المسألة فيها خَلْط، ناهِيك عمَّا فيه من الارتباط بالسِّحر، والعجيب أنَّ أكثر أهل الإسلام اليوم يعتمدون عليه ويتركون أهل العلم الربانيِّين، وهذا من البليَّة بمكان، فتنبَّه!

(١) والهوى لا يسلم منه أحد إلَّا من عصمه الله ﷻ، فلا بُدَّ مِن دَفعِه ودفعِ ما يُسبِّب الوقوع فيه، قال الله ﷻ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[ص:٢٦]، فإذا كان هذا الخطاب لنبيٍّ اختاره الله ﷻ وآتاه من الفضل ما اللهُ به عليم فكيف بغيره. والهوى أعظم أبواب الضلال؛ لذلك ذمَّه الله ﷻ في كتابه الكريم فقال: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[القصص:٥٠]، وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ﴾[الأعراف:١٧٦]، وقد نهى -سبحانه- عن اتباع أهل الأهواء وإن =

وقال عبْدُالله بْنُ المُبَارَكِ -كما في «البدع لابن وضاح» (٢/ ١٥٩): اعْلَمْ أَخِي أَنَّ المَوْتَ(١) الْيَوْمَ كَرَامَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللهَ عَلَى السُّنَّةِ، فَإِنَّا لله وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَإِلَى الله نَشْكُو وَحْشَتَنَا، وَذَهَابَ الْإِخْوَانِ، وَقِلَّةَ الْأَعْوَانِ، وَظُهُورَ الْبِدَعِ، وَإِلَى الله نَشْكُو عَظِيمَ مَا حَلَّ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ ذَهَابِ العُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَظُهُورِ الْبِدَعِ، وَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ شَدِيدٍ وَهَرْجٍ عَظِيمٍ.

= تقمَّصوا بقميص العلم والزهد، قال سبحانه: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[الكهف:٢٨].

(١) الموت: مفارقة الروح للجسد. وقد أخبر الله ﷻ في كتابه الكريم أنَّ الموت مُدرِك للعبد لا محالة، قال سبحانه: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[النساء:٧٨]، وقال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[آل عمران:١٨٥]، قال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ١٧٧): وهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس، فإنَّه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت، فإذا انقضت المدة وفرَغت النطفة التي قدَّر الله وجودَها من صلب آدم وانتهت البرية أقام اللهُ القيامة وجازَى الخلائق بأعمالها: جليلِها وحقيرِها، كثيرِها وقليلِها، كبيرِها وصغيرِها، فلا يظلم أحدًا مثقال ذرة، ولهذا قال: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.اهـ

وللموت سكرات وشدة، قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[ق:١٩]، قال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٣٩٩): يَقُولُ تَعَالَى:﴿وَجَآءَتْ﴾ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ﴿سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ أَيْ: كَشَفَتْ لَكَ عَنِ الْيَقِينِ الَّذِي كُنْتَ تَمْتَرِي فِيهِ، ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾: أَيْ: هَذَا هُوَ الَّذِي كُنْتَ تَفِرُّ مِنْهُ قَدْ جَاءَكَ، فَلَا مَحِيدَ وَلَا مَنَاصَ، وَلَا فِكَاكَ وَلَا خَلَاصَ.اهـ والسكرات لا يَسلَم منها أحد، فلو كان يَسْلَم منها أحد لسَلِم منها رسول الله ﷺ، فقد جاء في «صحيح البخاري» من حديث عائشة ﵂، قالت: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ -أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، يَشُكُّ عُمَرُ- فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي المَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَيَقُولُ: **«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ»**، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: **«فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى»** حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ.

والعبد له مدَّة من العمر مقدَّرة، فإذا انقضى أجله لا يستأخر ساعة ولا يستقدم، قال الله ﷻ: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المنافقون:١١]، وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۞ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۞ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۞ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۞ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، وليس بعد ذلك إلَّا إمَّا نعيم مقيم أو عذاب أليم، قال الله ﷻ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۞ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۞ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۞ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۞ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۞ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۞ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾، ثم ذكر سبحانه أن هذا هو الخبر الحق الذي لا مِريَة فيه ولا مَحِيد لأحد عنه، فقال عزَّ من قائل: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾[الواقعة:٨٣-٩٥].

قال الفقير -عفا الله عنه-: هذا في زمانه وقد مضى أكثرُ من ألفٍ ومائتَي سنة، فكيف لو رأى ما حصل في زماننا من تكفيرِ المسلمين وظهورِ الشِّرك والبدع بشتَّى أنواعِها! إلى الله المشتكى.

وَقَالَ عُمَرُ ﵁: يَهْدِمُ الإِسْلَامَ زَلَّةُ عَالِمٍ، وَجِدَالُ مُنَافِقٍ بِالقُرْآنِ، وَحُكْمُ الأَئِمَّةِ المُضِلِّين.(١) وَلَمَّا سَأَلَ صَبِيغُ عُمَرَ عَنِ (الذَّارِيَات) وَأَشْبَاهِهَا ضَرَبَهُ عُمَرُ ﵁(٢)، وَالقِصَّةُ مَشْهُورَة.

قوله: (**يَهْدِمُ الإِسْلَامَ زَلَّةُ عَالِمٍ**): قال الإمام أبو الحسن الهروي القاري في كتابه "مرقاة المفاتيح" (١/ ٣٣٤): أي: عَثْرتُه بتقصيرٍ منه. (**وَجِدَالُ مُنَافِقٍ**): الذي يُظهِر السُّنَّة ويُبطِن البدعة. (**بِالقُرْآن**): وإنَّما خُصَّ لأنَّ الجدال به أقبح؛ إذ يؤدِّي إلى الكفر. (**وَحُكْمُ الأَئِمَّةِ المُضِلِّين**): قال الطيبي: المراد بهدم الإسلام: تعطيل أركانِه الخمسة في قوله ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ(٣) عَلَى خَمْسٍ...**»(٤) الحدِيث، وتعطيلُه إنَّما يَحصُل مِن زَلَّة العالم وتَرْكِ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باتباع الهوى، ومِن جدالِ المبتدعة، وغلوِّهِم في إقامة البدع بالتمسُّك بتأويلاتهم الزائفة، ومِن ظهور ظُلْم الأئمة المضلين وحُكْم المزَوِّرين، وإنما قُدِّمت زَلَّة العالم؛ لأنها هي السبب في الخصلتين الأخيرتين، كما قيل: (زَلَّةُ العَالِمِ زَلَّةُ العَالَمِ(٥)).

---

(١) **صحيح**: رواه الدارمي برقم: (٢٢٠)، وصححه الألباني في "المشكاة" برقم: (٢٦٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه الآجُرِّي في "الشريعة" برقم: (١٥١)، وقال شيخنا الهُمام أبو عبدالله محمد بن عبدالله باجمَّال في "قلائد المرجان": صَحِيح.

(٣) الإسلام: هُوَ الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك وأهلِه. ويكون بالأمور الظاهرة، خلافًا للإيمان فإنه بالأمور الباطنة. ولَفْظَا (الإسلام) و(الإيمان) من الألفاظ التي إذا جُمع بينها في الذِّكر فُرِّق بينها في المعنى.

وقوله: (على خَمْس): يعني: أركان، أي: دعائم، ورُكْن الشيء جانبُه الأقوى.

(٤) **متفق عليه**: البخاري: (٨)، مسلم: (١٦)، عن ابن عُمَر ﵄.

(٥) انظر: "موسوعة الألباني في العقيدة" (٩/ ٤٨١).

قوله: (وَلَمَّا سَأَلَ صَبِيغٌ عُمَرَ ﷺ): قال العسكري -كما في «شرح الزرقاني على الموطأ» (٣/ ٣٧)-: اتَّهمَه عُمَر برأي الخوارج. (عَنِ (الذَّارِيَات) وَأَشْبَاهِهَا): قال ابنُ وضَّاح في «البدع» (٢/ ١١٢): جعَلَ صَبِيغُ يطوف معه كتابُ الله: مَنْ يتَفقَّهْ يُفَقِّهْ، ومَنْ يَتَعَلَّمْ يُعلِّمْه الله، فأخَذَه عمرُ ﷺ فضَرَبَه بالجَرِيد الرَّطْب، ثُمَّ سَجَنَه، حتَّى إذا جَفَّ الذي به أخْرَجَه فضَرَبَه، فقال: يَا أَمِيرَ المُؤمِنين، إن كنتَ تُرِيدُ قَتِلي فأَجْهِزْ عَلَيَّ، وإلَّا فقد شَفَيْتَنِي شفَاك الله، فخلَّاه عمرُ بن الخطاب.اهـ

فهذا فيه وُجُوب التحذير من أهل البدع والأهواء ومَن عُلِم فيه شيء من الفِسْقِ أو الفجور[1]، سواء كان ذلك بالقلم أو باللسان، أو بهما معًا لمن تيسَّر له ذلك، لاسيَّما من يتتبع المتشابه من القرآن؛ ليُضِلَّ به الناس ويشكِّك به أمر دينهم، انظر إلى عُمَر كيف فعل بهذا المبتدع، ضربه حتى إذا شُفيَ أو قاربَ ضرَبَه ثانيةً، كل ذلك لينتهي عمَّا هو عليه من الشر، فوَالله لن تقوم لِحَاكِمٍ قائمة حتى يحارب أهل البدع والأهواء، فليس على وجْهِ الأرض شَرٌّ بعد الكَفَرة والمُلحِدِين أشَد على أهل الإسلام من أهل البدع والأهواء، ولو لم يكن منهم إلَّا الزيادة في الدين بتُهمَة النقص لكَفَى، فما بالك وهُم مع ذلك أيادي خفيَّة لأعداء الملَّة، علِمَه مَن عَلِم وجهِلَه مَن جهل.



١٣- بَابُ وَعِيدِ مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِرأْيِهِ وَبِمَا لا يَعْلَم

وَقَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٣٣].

(١) كالخاطب يخطب ابنة جارِك أو أخيك ونحوهما، فإذا عَلِمْتَ منه سوءًا وسُئِلتَ عنه وَجَب عليك التنبيه، ويكون ذلك بينك وبين مَن استشارك، أمَّا ما يتعلق بأهل البدع والأهواء فالأولَى في ذلك أن يكون علنًا؛ لما فيه من الضرر العام على البلاد والعباد، إلَّا إذا خَشِيتَ على نفسك فلا بأس في إسراره.

قال العلَّامة السعدي في «تفسيره» (٢٨٧): ذكَر المحرَّمات التي حرَّمها الله في كلِّ شريعةٍ من الشرائع فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ﴾: أي: الذنوب الكبار التي تُستَفْحَش وتُستَقْبَح؛ لشَنَاعَتِها وقُبحِها، وذلك كالزِّنا[(١)] واللِّواط[(٢)] ونحوهما. ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: أي: الفواحش التي تتعلَّق بحركات البدن، والتي تتعلق بحركات القلوب، كالكِبْر والعُجْب[(٣)] والرياء والنفاق، ونحو ذلك. ﴿وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ

---

(١) الزِّنا: هو وطء المرأة من غير عقد شرعيٍّ. وقد حرَّمه الله ﷻ أشدَّ التحريم فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[الإسراء:٣٢]، ولِعِظَم هذا الأمر أمر اللهُ ﷻ عبادَه بغضِّ الأبصار وحِفْظ الفروج، فقال عزَّ من قائل: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۞ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[النور:٣٠-٣١]، وعقوبة الزُّناة والزَّواني في النار ليست بالأمر الهيِّن، فقد جاء في «البخاري» من حديث سمرة بن جندب ﷺ مرفوعًا وفيه: **«فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ»** -قَالَ: فَأَحْسِبُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ- **«فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ، فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا»**، قَالَ: **«قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَؤُلاَءِ؟ قَالَا لِي: ...وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ العُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ، فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي»**.

والزِّنا ما ظَهَر في قوم قطُّ إلَّا نزلت بهم العقوبة، كما جاء في «صحيح الترغيب والترهيب» من حديث ابن مسعودٍ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قال: **«مَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ الزِّنَا وَالرِّبَا إِلَّا أَحَلُّوا بأنفُسِهِمْ عَذَابَ الله»**.

(٢) وليس ثَمَّت جريمة بعد الشرك بالله ﷻ أخبث من اللواط، قال الله ﷻ: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾[الأنبياء:٧٤]، بل أكَّد -سبحانه- على مرتكبي هذه الجريمة الذَّمَّ بوصفين في غاية القبح فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾[الأنبياء:٧٤]، وذكر النبي ﷺ أنَّ فاعل هذه الجريمة مَلعُون في الدنيا والآخرة، كما جاء في «الصحيحة» للألباني من حديث ابن عباس ﷺ، أن النبي ﷺ قال: **«لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيرِ الله، لَعَنَ اللهُ مَنْ غيَّرَ تُخُومَ الأرْضِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ كَمَهَ الأَعْمَى عَنِ السَّبِيلِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ سَبَّ** -وفي رواية: **عَقَّ- وَالِدَيه، لَعَنَ اللهُ مَنْ تَوَلَّى غيْرَ مَوَالِيه، لَعَنَ اللهُ مَنْ وَقَعَ عَلَى بَهِيمةٍ، لَعَنَ اللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، لَعَنَ اللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قومِ لُوطٍ، لَعَنَ اللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ»**. وذكر ﷺ أيضًا أنَّ الله لا ينظر يوم القيامة إلى مرتكبي هذه الجريمة، فقد جاء في «صحيح سنن الترمذي» للألباني عَنِ ابن عَبَّاس ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَى رَجُلٍ أَتَى رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً فِي الدُّبُرِ»**.

(٣) العُجْب: هو استعظام النِّعمَة والرُّكون إليها مع نسيان إضافتها إلى الله ﷻ. وقد ذمَّ الله ﷻ مرتكب هذه الذنب العظيم، فقال عزَّ من قائل: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ۞ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾[القيامة:٣٣-٣٤]، قال البغوي: يتبختر ويختال في مِشيَتِه، وقيل: أصله: (يتمَطَّطُ)، أي: يتمدَّد. وهو موجِبٌ لنزول العقوبة والهلاك على العبد، قال الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[التوبة:٢٥]، وجاء في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال النَّبيُّ ﷺ: **«بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»**.

﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: أي: الذنوب التي تُؤثِم وتُوجِب العقوبة في حقوق الله، والبغي على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فدخل في هذا الذنوبُ المتعلّقةُ بحقِّ الله، والمتعلِّقةُ بحق العباد.

﴿وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾: أي: حُجَّة، بل أنزلَ الحجة والبرهان على التوحيد. والشِّركُ: هو أن يُشْرَك مع الله في عبادته أحدٌ من الخلق، وربما دخل في هذا الشرك الأصغر، كالرياء، والحلف بغير الله، ونحو ذلك. ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: في أسمائه وصفاته وأفعاله وشَرْعِه، فكل هذه قد حرَّمها الله ونهى العباد عن تعاطيها؛ لِمَا فيها من المفاسد الخاصَّة والعامة، ولِمَا فيها مِنَ الظُّلْم والتجرِّي على الله، والاستطالة على عباد الله، وتغيير دين الله وشَرْعِه.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: **«مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِرَأْيِهِ -وَفِي رِوَايَةٍ: مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ- فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّار»**، رَوَاهُ التِّرمِذِي وَحَسَّنَه[1]، وَعَن جُنْدُب رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ»**، رَوَاهُ أَبُو دَاوُد والتِّرمِذِي وَقَال: غَرِيب[2].

الحديثان وإن كان لفظُهُما في غايةٍ من الحُسْن والجمال إلَّا أنهما ليسَا من كلام النبي ﷺ، وهذا فيه أن الحديث الضعيف قد يُشبِه الحديث الصحيح، فليس يفهمه حقَّ الفهم إلَّا مَن كان مِن أهل الحديث الربانيين الراسخين في العلم، خلافًا لغيرهم لاسيَّما حُدَثَاء الأسنان ومن اغترَّ بهم من أهل الحماسات ممَّن لم يمارس الحديث وعِلْمَه، وإنَّما قرأه قراءةً، فقام به في الناس، فيُفسِد في ساعة ما لا يصلحه العالم في سَنَة، فيحصل من الشر ما الله به عليم، وعلى هذا ينبغي للمسلم ألَّا يأخذ دينه إلَّا ممَّن عُلِم بالسُّنَّة والحِلم والأناة في الأمور.

---

(١) **ضعيف**: ضعَّفه الألباني في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" برقم: (٢٩٥١).

(٢) **ضعيف**: ضعَّفه الألباني في المصدر السابق برقم: (٢٩٥٢).

قال البربهاري في كتابه "شرح السنة" (١٢٣): ... وأمَّا اليوم فيُمتَحَن بالسُّنَّة؛ لقوله: إنَّ هذا العِلْم دينٌ فانظروا عمَّن تأخذون دينكم، ولا تقبلوا الحديث إلَّا ممَّن تقبلون شهادتَه، فتَنظُر: إن كان صاحب سُنَّة له معرفة صدوقٌ كتبتَ عنه، وإلَّا تركتَه.



١٤- بَابُ مَا جَاءَ فِي الجِدَالِ فِي القُرْآن

قَالَ أَبُو العَالِيَة: آيَتَانِ مَا أَشَدَّهُمَا عَلَى مَنْ يُجَادِلُ فِي القُرْآن: قَولُهُ تَعَالَى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[غافر:٤]، وَقَولُهُ: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۢ بَعِيدٖ﴾[١] [البقرة:١٧٦].

قوله: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: قال العلَّامة السعدي في "تفسيره" (٧٣١): يُخبِر ﷻ أنَّه ما يجادل في آياتِه إلَّا الذين كفروا، والمراد بالمجادلة هنا: المجادلة لِرَدِّ آياتِ الله ومقابلتها بالباطل، فهذا من صَنِيع الكفار، وأمَّا المؤمنون فيخضعون لله تعالى الذي يُلقِي الحق ليُدحِض به الباطل، ولا ينبغي للإنسان أن يغترَّ بحالة الإنسان الدنيوية، ويظن أنَّ إعطاءَ الله إياه في الدنيا دليلٌ على محبَّتِه له، وأنه على الحق.

وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾: أي: وإنَّ الذين اختلفوا في الكتاب، فآمَنُوا ببعضه وكفروا ببعضه، والذين حرَّفوه وصرَفُوه على أهوائِهم ومراداتهم ﴿لَفِي شِقَاقِۢ بَعِيدٖ﴾، أي: محادَّة، ﴿بَعِيدٖ﴾ عن الحقِّ؛ لأنهم قد خالفوا الكتاب الذي جاء بالحق الموجِب للاتفاق وعدم التناقض، فمرج أمرهم، وكثر شقاقهم، وترتب على ذلك افتراقهم، بخلاف أهل الكتاب الذين آمنوا به وحكَّمُوه في كل شيء، فإنهم اتفقوا وارتفقوا بالمحبة والاجتماع عليه.

---

(١) **ضعيف**: أخرجه الثعلبي في "تفسيره" برقم: (٢٥٥٥)، والبيهقي في "شعب الإيمان" برقم: (٢٠٧٨)، وضعَّفه شيخُنا الهمام أبو عبدالله محمد بن عبدالله باجمال حَفِظَهُ اللهُ في كتابه "قلائد المرجان" (١٩٥).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«جِدَالٌ فِي القُرْآنِ كُفْرٌ»**، رَوَاهُ أَحْمَدُ وأَبُو دَاوُد، وَإِسنَادُهُ جَيِّدٌ[1]. وَفِي حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ: سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَوْمًا يَتَمَارُونَ فِي القُرْآنِ فَقَالَ: **«إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الكِتَابِ»**[2].

قوله: (**جِدَالٌ فِي القُرْآنِ كُفْرٌ**): قال المناوي في "فيض القدير" (٣/ ٣٥٤): أي: الجدال المؤدِّي إلى مِرَاءٍ ووقوعٍ في شَك، أمَّا التنازع في الأحكام فجائز إجماعًا، إنَّما المحذور جدالٌ لا يرجع إلى علم ولا يُقضَى فيه بضرس قاطع، وليس فيه اتباع للبرهان ولا تأوُّل على النصفة، بل يخبط خبط عشواء غير فارق بين حقٍّ وباطل.

قوله: (**إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ...**): قال النووي في "شرحه على مسلم" (١٦/ ٢١٨): المراد بهلاك مَن قبلنا هنا: هَلاكُهُم في الدين بكفرهم وابتداعهم، فحذَّر رسولُ الله ﷺ مِن مثل فِعْلِهِم، والأمرُ بالقيام عند الاختلاف في القرآن محمولٌ عند العلماء على اختلاف لا يجوز، أو اختلافٍ يوقع فيما لا يجوز، كاختلافٍ في نفس القرآن، أو في معنًى منه لا يسوغ فيه الاجتهاد، أو اختلاف يوقِع في شَكٍّ أو شبهة أو فتنة وخصومة أو شجار، ونحو ذلك.

وأمَّا الاختلاف في استنباط فروع الدين منه ومناظرة أهل العلم في ذلك على سبيل الفائدة وإظهار الحق واختلافهم في ذلك فليس منهيًّا عنه، بل هو مأمور به وفضيلةٌ ظاهرة، وقد أجْمَع المسلمون على هذا من عَهْد الصحابة إلى الآن، والله أعلم.



---

(١) **صحيح:** رواه أحمد برقم: (٧٥٠٨)، وأبو داود برقم: (٤٦٠٣)، وصححه الألباني في "صحيح الجامع الصغير" برقم: (٣١٠٦).

(٢) **متفق عليه:** البخاري: (٧٢٨٨)، مسلم: (٢٦٦٦)، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

١٥- بَابُ مَا جَاءَ فِي الاخْتِلافِ فِي القُرْآنِ فِي لَفْظِهِ أَوْ مَعْنَاه

وَقَوْلِ الله ﷻ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[هود:١١٨-١١٩] الآية، وَقَولِهِ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[البقرة:٢١٣]الآيَة.

قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾: قال العلَّامة السعدي في "تفسيره" (٣٩٢): يُخبِر تعالى أنَّه لو شاء لجَعَل الناس كلَّهم أُمَّة واحدة على الدين الإسلامي، فإنَّ مَشِيئَته غير قاصِرة، ولا يمتنع عليه شيء، ولكنَّه اقتضت حكمتُ أنْ لا يزالوا مختلِفين مخالفين للصراط المستقيم متَّبعين للسُّبُل المُوصِلة إلى النار، كُلٌّ يرى الحقَّ فيما قاله والضلالَ في قول غيره، ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ فهداهم إلى العلم بالحقِّ والعمل به والاتفاق عليه، فهؤلاء سَبَقت لهم سابقةُ السعادة، وتداركتْهُم العناية الربانية والتوفيق الإلهي.

وأمَّا مَن عداهم فهُمْ مَخذُولُون مَوكُولُون إلى أنفُسِهم.

قوله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: قال السعدي: أي: كانوا مجتمعين على الهدى، وذلك عشرةُ قرون بعد نوح عليه السلام، فلمَّا اختلفوا في الدين فكَفَر فريقٌ منهم وبقي الفريق الآخر على الدين وحصل النزاع بعث الله الرسُل ليَفصِلوا بين الخلائق ويقيموا الحجة عليهم، وقيل: بل كانوا مجتمعين على الكفر والضلال والشقاء، ليس لهم نور ولا إيمان، فرَحِمَهم الله تعالى بإرسال الرُّسُل إليهم، ﴿مُبَشِّرِينَ﴾[(١)] مَن أطاع اللهَ بثمرات الطاعات من الرزق، والقوة في البدن والقلب، والحياة الطيبة،

---

(١) البِشَارة -كما في "التعريفات"- للجرجاني (٤٥): كل خبر صدقٍ تتغيَّر به بشرة الوجه، ويُستَعمل في الخير والشر، وفي الخير أغلب. وقد أمر النبي ﷺ أمَّته بأن يبشروا الناس بالخير، ففي "صحيح مسلم" من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «**بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا**»، فلا ينبغي التشديد على المسلمين وأمرهم ما لم يأمرهم الله ﷻ وتكليفهم ما لم يكلفهم الله ﷻ من البدع والأهواء وإزهاق النفس وإلقاء الأيدي إلى التهلكة، فديننا يُسْر؛ لذا قال ﷺ -كما في "البخاري" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه-: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ**»، ولمَّا بعث معاذًا وأبا موسى رضي الله عنهما إلى اليمن قال لهما -كما في "الصحيحين"- من حديث أبي بردة رضي الله عنه: «**يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا**».

وأعلَى ذلك الفوز برضوان الله والجنة. ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ مَنْ عصَى الله بثمرات المعصية، مِن حرمان الرزق والضعف والإهانة والحياة الضيقة، وأشد ذلك سخط الله والنار.

وَفِي "الصحيح"[١] عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا[٢] يَقْرَأُ آيَةً سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ خِلَافَهَا، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الكَرَاهِيَة، فَقَالَ: «**كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ فَلَا تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا**». وَفِيهِ أَيْضًا عَنْ ابْنِ عَمْرٍو قَالَ: هَجَّرْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ يَوْمًا، قَالَ: فَسَمِعَ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ**»[٣].

قوله: (**سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ خِلَافَهَا**[٤]): أي: غير قراءة ذلِك الرجل. (**فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الكَرَاهِيَة**): قال القسطلاني في "إرشاد الساري" (٥/ ٤٣٥): أي: للجدال[٥] الواقع بينهما. (**فَقَالَ: كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ**) في القراءة والسماع، (**فَلَا تَخْتَلِفُوا**)

---

(١) أخرجه البخاري: (٣٤٧٦).

(٢) يحتمل أن يكون هذا الرجل عمرو بن العاصي رضي الله عنه؛ لحديثٍ عند "أحمد" يُستَأنَس به في ذلك. "إرشاد الساري" (٥/ ٤٣٥).

(٣) **متفق عليه**: البخاري: (٧٢٨٨)، مسلم: (٢٦٦٦)، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

(٤) الضمير راجع إلى المصدر المفهوم مِن (قرأ).

(٥) الجدال يكون محمودًا، ويكون مذمومًا: فالمحمود ما تعلَّق بإظهار الحقِّ، وقد أُمِر بذلك النَّبيُّ ﷺ في قوله ﷺ: ﴿وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[النحل:١٢٥]، والمذموم ما شَغَلَ عن ظهور الحقِّ ووضوح الصَّواب، وهذا هو المقصود بقوله ﷺ: «**مَا أُوتِيَ الجَدَلَ قَوْمٌ إِلَّا ضَلُّوا**»، وعدَّ الذَّهبيُّ هذا النَّوع من الكبائر. وهو علامةٌ للضلال، بل ما رأيت قط رجلًا صار مبتدعًا بعد سنَّةٍ إلَّا كان ذلك بسبب الجدال، جاء في "صحيح سنن الترمذي" للعلامة الألباني، من حديث أبي أمامة الباهليِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا ضَلَّ قَومٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الجَدَلَ**»، ثُمَّ تَلَا رسولُ الله ﷺ هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[الزخرف:٥٨]، بل هو مِمَّا يهدم الإسلام، كما عند الدارمي وصحَّحه العلامة الألباني عن زياد بن حدير قال: قال لي عمر رضي الله عنه: هَل تَعرِفُ ما يهدم الإسلام؟ قال: قُلْتُ: لا، قال: يهدمه زلَّةُ عالم، وجدال منافق بالقرآن، وحكم الأئمة المضلين. قال الأوزاعيُّ رحمه الله -كما في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (١/ ١٦٤) بسند صحيح-: إذَا أرادَ اللهُ بقوم شرًّا ألزَمَهُم =

اختلافًا يؤدِّي إلى الكفر أو البدعة، كالاختلاف في نفس القرآن، وفيما جازت قراءته بوجهين، وفيما يُوقِع في الفتنة أو الشبهة؛ (فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ) -وهم بنو إسرائيل- (اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا): نَعَم إذا كان الاختلاف في الفروع ومناظرات العلماء لإظهار الحق فهو مأمور به، [وإلَّا فلا].

وَفِي "المسند"[1] عَنْهُ [-أي: ابْن عَمْرو-] مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْب قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا بِبَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ كَذَا وَكَذَا؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ كَذَا وَكَذَا؟ فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ الله ﷺ فَخَرَجَ كَأَنَّمَا فُقِئَ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ، فَقَالَ: **«أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ، أَوْ بِهَذَا بُعِثْتُمْ أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ الله بَعْضَهُ بِبَعْضٍ؟! إِنَّمَا ضَلَّتِ الأُمَمُ قَبْلَكُمْ فِي مِثْلِ هَذَا، إِنَّكُمْ لَسْتُمْ مِمَّا هَاهُنَا فِي شَيْءٍ، انْظُرُوا الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ فَاعْمَلُوا بِهِ، وَالَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا عَنْهُ»**، وَفِي رِوَايَةٍ: خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ يَتَنَازَعُونَ فِي القَدَرِ[2]. وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه وَفِيهِ: خَرَجَ وَنَحْنُ نَتَنَازَعُ فِي القَدَرِ[3]، وقَالَ: حَسَن.

قوله: (كُنَّا جُلُوسًا بِبَابِ النَّبِيِّ ﷺ...): فيه استحباب مُجالَسَة العلماء والاستفادة منهم. (كَأَنَّمَا فُقِئَ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ): أي: غَضِب فاحمرَّ وجهُه مِن أجْلِ الغَضَب احمرارًا شديدًا، وهذا فيه جوازُ غَضَب العالم على مَن دُونَه؛ غيرةً على دين الله سبحانه وتعالى، فينبغي لطالب العلم الصبر على العلماء الربانيِّين الراسخين في العلم المعروفين بالزهد، فلعَلَّ عتابًا من شَيخِك كان لك فيه فتحٌ لا يعلم قدره إلَّا الله سبحانه وتعالى، فالعالِم يَرَى ما قد لا يَظْهَر لك إلَّا بعد مرور زَمَن، فلا تَقِس رؤيتَك برؤيتِه.

= الجَدَل، ومنَعَهُم العمل.

(١) **حسن:** أخرجه أحمد في "مسنده" برقم: (٦٨٤٥)، وحسَّنه طبعة الرسالة وشيخنا الهمام أبو عبدالله محمَّد بن عبدالله باجمال حَفِظَهُ اللهُ في "قلائد المرجان" (٢١٤).

(٢) **حسن:** رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني في "صحيح وضعيف سنن ابن ماجه" برقم: (٨٥).

(٣) **حَسَن:** حسنه الألباني في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" برقم: (٢١٣٣).

قال الإمام القاري في «مرقاة المفاتيح» (١/ ١٧٥): قوله: (أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ؟!)[(١)]: أي: أبالتَّنازُع؟! (أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ الله بَعْضَهُ بِبَعْضٍ): أي: تدفعوا بعضَه ببعض، فتصرفوا معنى المراد منه إلى أهوائِكُم، وتَرُدُّ كل طائفةٍ منكم ما لا يوافق مُرادَها، (إِنَّمَا ضَلَّتِ الأُمَمُ قَبْلَكُمْ فِي مِثْلِ هَذَا)[(٢)]: أي: حين تنازعوا في كتاب الله ﷻ واختلفوا فيه، فصاروا فِرَقًا وجماعات كل فِرقَة تدَّعي أنَّ الحقَّ معهَا، (إِنَّكُمْ لَسْتُمْ مِمَّا هَاهُنَا فِي شَيْءٍ...): أي: ليْسَ لكم في هذا الكلام شيء، اعملوا ما أُمِرتُم به من الأعمال الصالحة، واتركوا ما نُهِيتُم عنه من المعاصي والذنوب.

قوله: (وَهُمْ يَتَنَازَعُونَ فِي القَدَر): قال البرَّاك في «شرحه على العقيدة الطحاوية» (١٦٣): الأصل السادس من أصول الإيمان: الإيمان بالقدر، والإيمان بالقدر يشمل أربعة أصول، وهي التي تُسمَّى (مراتِب الإيمان بالقَدَر):

- **الإِيمَانُ بِعِلْمِ الله السَّابِق**: وهو الإيمان بأنَّ الله عَلِم بعلمه القديم كلَّ ما يكون، فعَلِمَ العباد وأعمالهم وأحوالهم وطاعاتهم ومعاصيهم بعِلْمه القديم الأزلي الذي لم يحدث بعد أن لم يكن؛ فإنه تعالى لم يَزَل عالمًا بما سيكون.
- **المَرتَبةُ الثَّانِيَة: الإِيمَانُ بكِتَابَة المقَادِير**: وهو الإيمان بأنَّ الله قدَّر مقادير الخلق، وكتب ذلك على وفق ما علم قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، كما في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عند «مسلم»[(٣)] عن النبي ﷺ أنَّه قال: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض»، والآيات الدالة على هاتين المرتبتين كثيرة: منها: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[الحج:٧٠]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا

(١) همزة الاستفهام للإنكار، وتقديم المجرور لمزيد الاهتمام.
(٢) جملة مستأنفة جوابًا عمَّا اتَّجه لهم أن يقولوا: لِمَ تُنكِر هذا الإنكار البليغ؟.
(٣) برقم: (٢٦٥٣).

يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[فاطر:١١].

- **المَرتَبَة الثَّالِثَة: الإِيمَان بعُمُوم مَشِيئَة الله:** وهو أنَّه لا خروج لشيء عن مشيئة الله، فكل ما يجري في الوجود فهو بمشيئة الله، فكل حركةٍ وسكون، وكُلُّ تغيُّر بوجودٍ أو عدمٍ أو زيادة أو نقصٍ على أيِّ وجه كُلُّ ذلك بمشيئة الله، قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[البروج:١٦]، وقوله: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[إبراهيم:٢٧]، وقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[التكوير:٢٩].

- **والمَرتَبَة الرَّابِعَة: الإِيمَانُ بعُمُوم خَلقِه:** ومعناه: أنَّ الله خالق كل شيء، فكل موجود فهو مخلوق لله، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الزمر:٦٢]، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الأنعام:١٠٢].

هذه أربعُ مراتب لابد أن تكون مستقرة في ذهن المسلم.



١٦- بَابُ إِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا

فِي "الصحيحين"[١] عَنْ جُنْدُب ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: **«اقْرَءُوا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفَتْ فَقُومُوا عَنْهُ»**. وَلَهُمَا[٢] عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ: **«ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَه»**، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ رسُولَ الله ﷺ قَدْ غَلَبَهُ الوَجَعُ، وَإِنَّ عِنْدَنَا كِتَابَ الله حَسْبُنَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلِ ائْتُوا بِكِتَاب، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«قُومُوا عَنِّي وَلَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُع»**، فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ الله ﷺ وَبَيْنَ كِتَابِهِ.

---

(١) البخاري: (٥٠٦٠)، مسلم: (٢٦٦٧)، واللفظ للبخاري.

(٢) البخاري: (١١٤)، مسلم: (١٦٣٧).

قوله: (اقْرَءُوا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ): قال القسطلاني في "كتابه إرشاد الساري" (٧/ ٤٨٧): أي: ما اجتمعت (قُلُوبُكُمْ) عليه، (فَإِذَا اخْتَلَفَتْ فَقُومُوا عَنْهُ)، أي: إذا اختلفت قلوبكم في فَهْم معانيه تفرَّقُوا؛ لئلَّا يتمادَى بكم الاختلاف إلى الشر. وحمَله القاضي عياض على الزمن النبويِّ خوفَ نزولِ ما يَسُوء.

وقال في "شرح المشكاة": يعني: اقرَءُوه على نشاطٍ منكم وخواطِرُكم مجموعة، فإذا حصَل لكم مَلالَة وتفرُّق القلوب فاتركوه، فإنَّه أعظم مِن أن يقرَأهُ أحَدٌ من غير حضور القلب، يقال: (قام بالأمْر) إذا جدَّ فيه وداوَم عليه، و(قَامَ عَنِ الأمْر) إذا ترَكَه وتجَاوَزَه.

وقوله: (قَالَ فِي مَرَضِهِ): قال القسطلاني في المصدر السابق (١/ ٢٠٧): لمَّا اشتد بالنبيِّ ﷺ وَجَعُه الذي توفِّي فيه يوم الخميس قبل موتِه بأربعة أيَّام قال: (ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ[١] لَكُمْ): أي آمُر مَن يَكتُب لكم (كِتَابًا) فيه النَّص على الأئِمَّة بعدي، أو أُبيِّن فيه مهمَّات الأحكام، (لَا تَضِلُّوا بَعْدَه، قَالَ عُمَرُ) بنُ الخطاب رضي الله عنه لِمَن حضَرَهُ من الصحابة رضي الله عنهم: (إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ غَلَبَهُ الوَجَعُ، وَ) الحَالُ (عِنْدَنَا كِتَابُ الله) هو (حَسْبُنَا)، أي: كافينا، فلا نكلِّف رسولَ الله ﷺ ما يشق عليه في هذه الحالة من إملاء الكتاب.

ولم يكن الأمر في (ائْتُونِي) للوجوب، وإنما هو من باب الإرشاد للأصْلَح؛ للقرينة الصارِفة للأمر عن الإيجاب إلى النَّدْب، وإلَّا فما كان يسوغ لعُمَر رضي الله عنه الاعتراض على أمرِ الرسول عليه الصلاة والسلام، على أنَّ في تَركِه عليه الصلاة والسلام الإنكار على عمر رضي الله عنه دليلًا على استصوابه[٢]، فكان توقُّف عُمَر صوابًا، لا سيَّما والقرآن فيه تبيان لكل شيء، ومِن ثَمَّ قال عُمَر: حَسبُنَا كتابُ الله، (فَاخْتَلَفُوا)، أي: الصحابة عند ذلك، فقالت طائفةٌ: بل

(١) بالجَزْم جوابًا للأمر، ويجوز الرفع على الاستئناف.

(٢) وفي هذا دليل على أنَّه ينبغي لكبير القوم أن يتواضع لمن دونه، لاسيَّما إذا أصاب في كلامه، فليس فيه نقص كما يظنه بعضهم، بل هذا عين الرفعة عند الله عز وجل وموجِبٌ للمودَّة والتآلُف وجمع الكلمة.

نكتُب؛ لِمَا فيه من امتثال أمرِه وزيادة الإيضاح، فلمَّا رأى ذلك ﷺ (**قَالَ: قُومُوا عَنِّي**)، أي: عن جهتي.

(**فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما) من المكان الذي كان به عندما تحدَّث بهذا الحديث وهو (**يَقُولُ: إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ**) -أي: إنَّ المصيبةَ كُلَّ المصيبة- (**مَا حَالَ**) أي: الَّذي حجَز (**بَيْنَ رَسُولِ الله ﷺ وَبَيْنَ كِتَابِه**)، وقد كان عُمَرُ رضي الله عنه أفْقَه مِن ابن عباس رضي الله عنهما حيث اكتفى بالقرآن، على أنَّه يحتمل أن يكون ﷺ كان ظهر له حين هَمَّ بالكتاب أنه مَصلَحَة، ثم ظهر له أو أُوحِيَ إليه بعد ذلك أنَّ المصلحة في تَرْكِه، ولو كان واجبًا لم يتركه ﷺ لاختلافِهم؛ لأنَّه لم يَترُك التكليف لِمُخالَفَة مَن خالف، وقد عاش بعد ذلك أيَّامًا ولم يُعاوِد أمرَهُم بذلك.

وَلِمُسْلِمٍ[(١)] عَنِ ابْنِ مَسْعُود رضي الله عنه، أَنَّهُ قَرَأَ سُورَةَ يُوسُف، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا هَكَذَا أُنْزِلَتْ، فَقَالَ رضي الله عنه: أَتُكَذِّبُ بِالكِتَاب؟.

قوله: (**أَتُكَذِّبُ بِالكِتَاب**): قال النووي في «شرحه على مسلم» (٦/ ٨٨): معناه: تُنكِر بعضَه جاهلًا، وليس المراد التكذيب الحقيقي، فإنَّه لو كذَّب حقيقة لكَفَر وصار مُرتَدًّا يجب قتلُه، وقد أجمعوا على أنَّ مَن جَحَد حَرفًا مجمعًا عليه في القرآن فهو كافرٌ تجري عليه أحكام المرتدِّين، والله أعلم. اهـ



(١) أخرجه مسلم: (٨٠١)، وفيه اختصار، ولفظه: قَالَ: كُنْتُ بِحِمْص، فقال لي بعضُ القوم: اقْرَأ علَيْنا، فقرأت عليهم سورة يوسف، قال: فقال رجُلٌ من القوم: والله ما هكذا أُنزِلَت، قال: قُلْت: وَيْحَك، والله لقد قرأتها على رسول الله ﷺ، فقال لي: «أَحْسَنْتَ»، فبينما أنا أكلِّمُه إذ وَجَدتُ منه ريحَ الخمر، قال: فقلت: أتَشْرَبُ الخمر وتكذِّب بالكتاب؟ لا تبرَح حتى أجْلِدك، قال: فجَلَدتُه الحَدَّ.

١٧- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف:٥٧] الآيَة

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الكِبْرُ[١] بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»[٢]. وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّهُ عليه السلام قَالَ: «إِنَّ أَبْغَضَ الكَلَامِ إِلَى الله أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ: اتَّقِ اللهَ، فَيَقُول: عَلَيْكَ بِنَفْسِك»[٣].

قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ﴾: قال العلَّامة السعدي في "تفسيره" (٤٨٠): يُخبِر -تعالى- أنَّه لا أعظم ظُلمًا ولا أكْبَر جُرمًا مِن عَبْدٍ ذُكِّرَ بآياتِ الله، وبُيِّن له الحق مِن الباطل، والهُدَى من الضلال، وخُوِّف ورُهِّب ورُغِّب، فأعرض عنها، فلم يتذكَّر بما ذُكِّر به، ولم يَرجِع عمَّا كان عليه.

قَالَ الفَقِيرُ عفَا اللهُ عَنْه: وما أكثرَ هذا في زمانِنا، فرُبَّما تقول للرَّجل: هذا لم يَفْعَلْه رسول الله ﷺ، فيقول: أنتم أَتَيْتُم بدِينٍ جديد، أيُّنَا أتى بدينٍ جديد: الذي يزيد في الدين ما ليس منه، أم الذي ينهَى عن الزيادة في الدين؟!

قوله: (الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ): قال الشوكاني في "نيل الأوطار" (٢/ ١٢٩): هو دَفْعُه وإنكارُه ترفُّعًا وتجبُّرًا. قاله النووي. وفي "القاموس": بَطَرُ الحَقِّ: أن يتكبَّر عنده فلا

---

(١) المتكبِّر: ذو الكبرياء والعَظَمَة والجبروت، فهو الَّذي يَرى الكُلَّ حقيرًا بالإضافة إلى ذاته، ولا يرى الكمال والشرف والعِزَّ إلَّا لنفسه، فإنْ كانت هذه الرُّؤية صادقةً كان التَّكبُّر حقًّا محمودًا، وكان صاحبها جديرًا بأن يتكبَّر حقًّا، ولا يتصوَّر ذلك على الإطلاق إلَّا لله ﷻ، وإن كان ذلك الرأي باطلًا ولم يكن ما يراه من التفرد بالعظمة كما يراه، كان التكبر باطلًا مذموما، وكل من رأى العَظَمَة والكبرياء لنفسه على الخصوص دون غيره كانت رؤيتُه كاذبةً ونظرُه باطلًا إلَّا الله ﷻ. "معجم الفروق اللغوية" (٤٧٨).
وأسباب الكِبْر ثلاثة: سبب في المتكبِّر، وسبب في المتكبَّر عليه، وسبب فيما يتعلَّق بغيرهما: أمَّا السَّبب الَّذي في المتكبِّر: فهو العجب، والَّذي يتعلَّق بالمتكبَّر عليه: هو الحقد، والحسد، والَّذي يتعلَّق بغيرهما: هو الرِّياء، فتصير الأسباب بهذا الاعتبار أربعة.

(٢) أخرجه مسلم: (٩١)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: أخرجه النسائي في "الكبرى" (١٠٦١٩)، وصححه الألباني في "الصحيحة" برقم: (٢٩٣٩).

يَقبَله. قوله: (**وَغَمْطُ النَّاسِ**): أي: احتقار الناس.اهـ

واعلم -وفقني اللهُ وإيَّاك- أنَّ الكِبْر مانِعٌ من موانع دخول الجنَّة وإنْ بلغ في القِلَّة ما بَلَغ، لاسيما التكبر على الله ﷻ وشرعِه سبحانه، فيُخشَى على مَن كان هذا حالُه ألَّا يدخل الجنة إن مات عليه، والعياذ بالله، فقد جاء عند "مسلم" مِن حديث عبدِالله بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، أنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**».

والكبر سبب للطغيان ورد الحق، وربَّما أدَّى إلى الكفر، قال الله ﷻ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾[الأعراف:٧٦]، ولذلك كان السلف -رضوان الله تعالى عليهم- يخافون كثيرًا من الكبر والعجب، كما جاء عند "أحمد"(١) مِن حديث أبي سلمة بن عبد الرَّحمن بن عوف ﷺ قال: التقى عبدُالله بن عُمَر وعبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ على المَرْوَة فتحدَّثا، ثُمَّ مضى عبدُالله بن عمرو وبقي عبدُالله بن عُمَر يبكي، فقال له رجل: ما يُبكِيكَ يا أبا عبد الرَّحمن؟ قال: هَذَا -يعني: عبدالله بن عمرو ﷺ- زَعَم أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ كَبَّهُ اللهُ لِوَجْهِهِ فِي النَّار**».

والكبر يُفسِد العقل، فلا يوفَّق صاحبُه ولا يأتي برأي سديد في شيء مِن أمرِه، قال محمَّد بنُ الحسين بن علي -كما في "إحياء علوم الدين" (٣/ ٣٣٩)-: مَا دَخَل قلبُ امرئٍ شيءٌ من الكبر قطُّ إلَّا نقص مِن عقلِه بقَدر ما دخل من ذلك، قَلَّ أو كَثُر. وقال الأحنَفُ بنُ قيس -كما في المصدر السابق-: عَجَبًا لابن آدم يتكبَّر وقد خَرَج من مجرى البول مرَّتَين.

قوله: (**إِنَّ أَبْغَضَ الكَلَامِ إِلَى الله...**): فيه أنَّ من كبائر الذنوب رَدُّ كلام الله ﷻ

(١) **حسن**: أخرجه أحمد: (٧٠١٥)، وحسنه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" برقم: (٢٩٠٩).

وكلام رسوله ﷺ تكبُّرًا وتجبُّرًا على الله ﷻ وعلى خلقِه، وهو أفْحَش أنواع الكِبْر، وقد نهى الله ﷻ عن ذلك فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[البقرة:٢٠٦]، قال العلَّامة السعدي في "تفسيره" (٩٣): ذكَر ﷻ أنَّ هذا المُفسِد في الأرض بمعاصي الله إذا أُمِر بتقوى الله تكبَّر وأنِف و﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِۚ﴾، فيجمع بين العمل بالمعاصي والكبر على الناصحين.اهـ

وَفِي "الصحيح"[(١)] عَنْ أَبِي وَاقِد اللَّيْثِي ﷺ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفر، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الحَلَقَةِ فَجَلَس، وأَمَّا الآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ قَالَ: **«أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟: أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى الله فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ»**.

قال الإمام النووي في "شرحه على مسلم" (١٤/ ١٥٨): قوله: (**بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفر، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ...**) إلى آخره: فيه استحباب جلوس العالم لأصحابه وغيرهم في موضع بارز ظاهر للناس، والمسجد أفضل، فيُذاكرهم العلم والخير، وفيه جواز حِلَقِ العلم والذِّكْر في المسجد، واستحبابُ دخولِها ومجالسة أهلِها وكراهَة الانصراف عنها مِن غير عُذر، واستحباب القُرب من كبير الحلقة ليُسمَع كلامُه سماعًا بيِّنًا ويُتأدَّب بأدبه[(٢)]، وأنَّ قاصد الحلقة إن رأى فُرجَة

(١) البخاري: (٦٦)، مسلم: (٢١٧٦).

(٢) وهذه السُّنَّة هجرها كثير من أهل الإسلام، بل بعضهم ربَّما دخل المسجد وجلس من غير أن يصلي ركعتي تحية المسجد ولا يأتي بشيء من الدعاء، وربَّما تكلَّم في أمور الدنيا ولَعِبِ الكُرَة ونحوها، بل بعضهم أشد من ذلك تجِدُه يخوض في أمر الإمامة، فيأمر وينهى مِن غير عِلْم ولا برهان. وهذه المساجد جعل الله ﷻ لها حرمات وآداب لا ينبغي تعدِّيها، منها: عدم الجلوس فيها إلَّا لعبادة الله وما والاه، فقد جاء في "الصحيحة" من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ، أن النبيَّ ﷺ قال: **«سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يَجْلِسُونَ فِي المَسَاجِدِ حِلَقًا حِلَقًا إِمَامُهُم الدُّنْيَا، فَلَا تُجَالِسُوهُمْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لله فِيهِمْ حَاجَة»**. =

ومنها: الحفاظ على نظافَتِها وإبعاد القَذَى عنها وإن قَلَّ، فقد جاء عند «مسلم» من حديث أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**التَّفْلُ فِي المَسْجِدِ خَطِيئَةٌ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا**». ومنها: أن لا يدخلها مَن أكَل ثومًا أو بصلًا أو عليه رائحة كريهة يتأذَّى منها مَن بجانبه حتى يزيلها، ففي «الصحيحين» من حديث جابر بن عبدالله ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ الثُّومِ** -وقَالَ مَرَّةً: **مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ- فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ المَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ**». ومنها: عدم البيع والشراء أو إنشاد الضالَّة فيها، كما ثبت في «صحيح سنن الترمذي» للعلَّامة الألباني ﷺ من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي المَسْجِدِ فَقُولُوا: لَا أَرْبَحَ اللهُ تِجَارَتَكَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَنْشُدُ فِيهِ ضَالَّةً فَقُولُوا: لَا رَدَّ اللهُ عَلَيْكَ**»، بل نهى النبي ﷺ أنْ تُعامَل المساجد معامَلة الأسواق، كارتفاع الأصوات واللغط والفتن والخصومات والنزاع ونحو ذلك، كما في «صحيح مسلم» عَنْ عَبْدِالله بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ -ثَلَاثًا- وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الْأَسْوَاقِ**»، ولهذا زَجَر عمرُ ﷺ رجلَين يرفعان صوتهما في مسجد رسول الله ﷺ، كما في «صحيح البخاري» عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا فِي المَسْجِدِ فَحَصَبَنِي رَجُلٌ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهَذَيْنِ، فَجِئْتُهُ بِهِمَا، قَالَ: مَنْ أَنْتُمَا -أَو: مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟- قَالَا: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ، قَالَ: لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ البَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا، تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ الله ﷺ! ومنها: التوضُّؤ للصلاة في البيت والمشي إليها بأدب ووقار، فقد جاء في «الصحيحين» منْ حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الإِقَامَةَ فَامْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالوَقَارِ، وَلاَ تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا**». ومنها: أن يلبس الرجل اللباس الحسن عند الذهاب إليها، قال الله ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف:٣١].

وقد أمر النبي ﷺ بالمنافسة والمسارعة إلى الصفوف الأُوَل فيها، جاء في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاَسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**»، وهذه المساجد هي أحب البقاع إلى الله ﷻ، ففي «صحيح مسلم» من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى الله مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى الله أَسْوَاقُهَا**»، بل ذكر النبي ﷺ أنَّ الله يَفرَح بعبده إذا دخل المسجد كما يفرح أهلُ الغائب بغائبهم إذا عاد إليهم، كما في «صحيح سنن ابن ماجه» من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا تَوَطَّنَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ المَسَاجِدَ لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ إِلَّا تَبَشْبَشَ اللهُ إِلَيْهِ كَمَا يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ**»، وذكر أيضًا ﷺ أنَّ تعلُّق القلوب بالمساجد سببٌ لنجاة العبد يوم القيامة كما في «الصحيحين» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّه قَالَ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ**

دَخَل فيها، وإلَّا جَلَس وراءَهم، وفيه الثناء على مَن فَعَل جميلًا؛ فإنَّه ﷺ أثْنَى على الاثنين في هذا الحديث، وأنَّ الإنسان إذا فَعَل قبيحًا ومذمومًا وباحَ به جاز أن يُنسَب إليه، والله أعلم.

قوله ﷺ: (**أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللهِ فَآوَاهُ اللهُ**)(١): قال العلماء: معنى (أَوَى إلَى الله): أي: لجَأ إليه. قال القاضي: وعندي أنَّ معناه هنا: دخَل مجلسَ ذِكْر الله تعالى، أو دخَل مجلِسَ رسول الله ﷺ ومجمع أوليائِه وانضمَّ إليه، ومعنى (آوَاهُ اللهُ): أي: قَبِله وقرَّبه(٢). وقيل: معناه رَحِمَه أو آوَاهُ إلى جنَّتِه، أي: كتبها له. قوله ﷺ: (**وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ**): أي: ترَكَ المزاحمة والتخطِّي؛ حياءً من الله تعالى ومن النبيِّ ﷺ والحاضرين، أو استحياءً منهم أن يعرض ذاهبًا كما فعل الثالث، فاستحيا الله منه.

قال العلَّامة العثيمين في "شرح رياض الصالحين" (٥/ ٥٣٤): وفي هذا الحديث إثباتُ الحياء لله ﷻ، ولكنَّه ليس كحياء المخلوقين، بل هو حياء الكمال يليق

= امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ».

(١) لفظة «أَوَى» بالقصر، و«آوَاهُ» بالمد، هكذا الرواية، وهذه هي اللغة الفصيحة، وبها جاء القرآن أنه إذا كان لازمًا كان مقصورًا، وإن كان متعديًا كان ممدودًا، قال الله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ [الكهف:٦٣]، وقال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾[الكهف:١٠]، وقال في المتعدي: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾[المؤمنون:٥٠]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾[الضحى:٦]، قال القاضي -كما في "شرح النووي على مسلم" (١٤/ ١٥٩)-: وحكَى بعضُ أهل اللغة فيهما جميعًا لغتين: القصر، والمد، فيقال: (أَوَيْتُ إلى الرَّجُل) بالقصر والمد، و(آوَيْتُه) بالمد والقصر، والمشهور الفرق كما سبق.

(٢) وهذا يدل على عِظَم منزلة طالب العلم عند الله ﷻ، فقد جاء في "صحيح الترمذي" للألباني، من حديث صفوان بن عسَّال رضي الله عنه أنَّه قال: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ. وفي "صحيح الترمذي" للألباني، من حديث أبي أُمامَة الباهلي رضي الله عنه، أن النبيَّ ﷺ قال: «**فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ، إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتُ فِي الْبَحْرِ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ**»، وقد دعا النبي ﷺ لمستمع العلم وحافظِه ومبلِّغه، كما في "صحيح الترمذي" للألباني، من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أن النبيَّ ﷺ قال: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ**».

بالله ﷻ، وقد قال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيم»[(١)]، وقال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[الأحزاب:٥٣]، والله ﷻ يُوصَف بهذه الصفة لكن ليس مثل المخلوقين؛ لأن الله ﷻ يقول في القرآن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]، فكلَّما مَرَّ عليك صفة من صفات الله مشابهة لصفات المخلوقين في اللفظ فاعلم أنهما لا يستويان في المعنى؛ لأنَّ الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

قَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[لقمان:٦] الآيَة: لَعَلَّهُ أَنْ لَا يَكُونَ أَنْفَقَ فِيهِ مَالًا، وَبِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الضَّلَالَةِ أَنْ يَخْتَارَ حَدِيثَ البَاطِلِ عَلَى حَدِيثِ الحَق[(٢)].

قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى ﴾ الآية: قال ابن كثير في "تفسيره" (٦/ ٣٣٠): لمَّا ذكَر تعالى حالَ السُّعَداء -وهم الذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون بسماعه، كما قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ[(٣)] ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن

---

(١) **صحيح:** صححه الألباني في "صحيح سنن الترمذي" برقم: (٣٥٥٦)، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه.

(٢) **حسن:** أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" برقم: (٢٢٨٥)، وحسَّنه شيخنا الهمام أبو عبدالله محمد بن عبدالله باجمَّال حَفِظَهُ اللهُ في كتابه "قلائد المرجان" (٢٣٢).

(٣) اعلم -وفقني الله وإياك- أنَّ ذِكر الله ﷻ من أهم العبادات وأجلِّها، ينبغي للمسلم ملازمته في حِلِّه وترحالِه، علَّ الله أن يختم له بخاتمة حسنة، فقد جاء في "مسند الإمام أحمد" وصحَّحه الشيخان الألباني والوادعي رحمهما الله، من حديث عَبْدِاللهِ بْنِ بُسْرٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رجلٌ فقَال: يَا رَسُولَ الله! إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيْنَا، فَبَابٌ نَتَمَسَّكُ بِهِ جَامِعٌ؟ قَالَ: **«لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ الله»**، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه "الجواب الكافي" (٩١) جملةً ممَّن انشغل بدنياه عن ذكر الله ﷻ، قَال رحمه الله: فَرُبَّمَا تَعَذَّرَ عَلَيْهِ النُّطْقُ بِالشَّهَادَةِ، كَمَا شَاهَدَ النَّاسُ كَثِيرًا مِنَ الْمُحْتَضَرِينَ أَصَابَهُمْ ذَلِكَ، حَتَّى قِيلَ لِبَعْضِهِمْ: قُلْ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، فَقَالَ: آهْ آهْ، لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَهَا، وقِيلَ لِآخَرَ: قُلْ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، فَجَعَلَ يَهْذِي بِالْغِنَاءِ وَيَقُولُ: تَاتِنَا تِنِتْنَا، حَتَّى قَضَى، وَأَخْبَرَنِي مَنْ حَضَرَ بَعْضَ الشَّحَّاذِينَ عِنْدَ مَوْتِهِ، فَجَعَلَ يَقُولُ: لله، فِلْسٌ لله، حَتَّى قَضَى. وأَخْبَرَنِي بَعْضُ التُّجَّارِ عَنْ قَرَابَةٍ لَهُ أَنَّهُ احْتُضِرَ وَهُوَ عِنْدَهُ، وَجَعَلُوا يُلَقِّنُونَهُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَهُوَ يَقُولُ: هَذِهِ الْقِطْعَةُ رَخِيصَةٌ، هَذَا مُشْتَرٍ جَيِّدٌ، هَذِهِ كَذَا، حَتَّى قَضَى. وَسُبْحَانَ اللهِ! كَمْ شَاهَدَ النَّاسُ مِنْ هَذَا عِبَرًا؟ =

يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾[الزمر:٢٣]- عَطَف بذكر حال الأشقِيَاء الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله، وأقبلوا على استماع المزامير والغناء بالألحان وآلات الطرب، كما قال ابنُ مسعود في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾[لقمان:٦]، قال: هو الغناء والَّذي لا إله إلَّا هو، يردِّدها ثلاثَ مرات[(١)].
وجاء عن عكرمة كما في "تحريم آلات الطرب" (١٤٣) للألباني، أنَّه قال: هو الغناء.

وقد لعن النبي ﷺ الغناء كما عند البزار في "مسنده" من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبيَّ ﷺ قال: **«صَوْتَانِ مَلْعُونَانِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة: مِزْمَارٌ عِنْدَ نِعْمَةٍ، وَرَنَّةٌ عِنْدَ مُصِيبَة»**[(٢)]، وجاء في "تحريم آلات الطرب" (١٣) للألباني، عن القاسم بن سلمان أنه قال: لعنَ المُغَنِّي والمُغَنَّى لَهُ. وعنه أيضًا بسندٍ جيِّد أنه قال: إنَّ الغِناء يُنبِت النفاق في القلب كما يُنبِت الماءُ الزرع، وإنَّ الذِّكْر يُنبِت الإيمان في القلب كما يُنبِت الماء الزرع.

قال ابن القيم في "إغاثة اللهفان" (١/ ٢٤٨): فاعلم أنَّ للغناء خواصَّ لها تأثير

= وَالَّذِي يَخْفَى عَلَيْهِمْ مِنْ أَحْوَالِ الْمُحْتَضِرِينَ أَعْظَمُ وَأَعْظَمُ، فَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ فِي حَالِ حُضُورِ ذِهْنِهِ وَقُوَّتِهِ وَكَمَالِ إِدْرَاكِهِ قَدْ تَمَكَّنَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ وَاسْتَعْمَلَهُ فِيمَا يُرِيدُهُ مِنْ مَعَاصِي الله، وَقَدْ أَغْفَلَ قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، وَعَطَّلَ لِسَانَهُ عَنْ ذِكْرِهِ، وَجَوَارِحَهُ عَنْ طَاعَتِهِ، فَكَيْفَ الظَّنُّ بِهِ عِنْدَ سُقُوطِ قُوَاهُ وَاشْتِغَالِ قَلْبِهِ وَنَفْسِهِ بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ أَلَمِ النَّزْعِ؟ وَجَمَعَ الشَّيْطَانُ لَهُ كُلَّ قُوَّتِهِ وَهِمَّتِهِ، وَحَشَدَ عَلَيْهِ بِجَمِيعِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ؛ لِيَنَالَ مِنْهُ فُرْصَتَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ آخِرُ الْعَمَلِ، فَأَقْوَى مَا يَكُونُ عَلَيْهِ شَيْطَانُهُ ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَأَضْعَفُ مَا يَكُونُ هُوَ فِي تِلْكَ الْحَالِ، فَمَنْ تُرَى يَسْلَمُ عَلَى ذَلِكَ؟ فَهُنَاكَ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[إبراهيم:٢٧]، فَكَيْفَ يُوَفَّقُ بِحُسْنِ الخَاتِمَةِ مَنْ أَغْفَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ- قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِهِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا، فَبَعِيدٌ مَنْ قَلْبُهُ بَعِيدٌ مِنَ الله تَعَالَى، غَافِلٌ عَنْهُ، مُتَعَبِّدٌ لِهَوَاهُ، أَسِيرٌ لِشَهَوَاتِهِ، وَلِسَانُهُ يَابِسٌ مِنْ ذِكْرِهِ، وَجَوَارِحُهُ مُعَطَّلَةٌ مِنْ طَاعَتِهِ مُشْتَغِلَةٌ بِمَعْصِيَتِهِ- أَنْ يُوَفَّقَ لِلْخَاتِمَةِ بِالْحُسْنَى.

قال ابن كثير رحمه الله في "البداية والنهاية" (٩/ ١٨٤): الذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت مع خذلان الشيطان له، فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الإيمان، فيقع في سوء الخاتمة.

(١) **صحيح**: أخرجه الطبري في "تفسيره" (٢٠/ ١٢٧)، وصححه الألباني في "الصحيحة" برقم: (٢٩٢٢).

(٢) **صحيح**: رواه البزَّار في "مسنده" برقم: (٧٥١٣)، وصححه الألباني في "الجامع الصغير" برقم: (٣٨٠١).

في صبغ القلب بالنفاق، ونباته فيه كنبات الزرع بالماء، فمِن خواصِّه: أنه يلهي القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبُّره والعمل بما فيه، فإن القرآن ينهَى عن اتباع الهوى، ويأمر بالعِفَّة، ومجانبة شهوات النفوس وأسباب الغَي، وينهى عن اتباع خطوات الشيطان، والغناءُ يأمُر بضِدِّ ذلك كلِّه ويحسِّنه ويهيِّج النفوس إلى شهوات الغي، فيثير كامنها ويزعج قاطنها ويحركها إلى كلِّ قَبِيح.

قال المناوي رحمه الله في "فيض القدير" (٢/ ١٣٢): وبقدر قِلَّة الخوف يكون الهجوم على المعاصي، فإذا قلَّ الخوف جِدًّا واستَوْلَت الغَفْلَة كان ذلك من علامة الشقاء، ومِن ثَمَّ قالوا: المعاصي بريد الكفر، كما أنَّ القُبْلَة بريدُ الجماع، والغِنَاء بريد الزِّنا، والنظر بريد العِشْق، والمرض بريد الموت، وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة المضرة بالعقل والبدن والدنيا والآخرة ما لا يحصيه إلَّا الله.

قال الواحدي في "تفسيره" (٣/ ٤٤١): قال أهل المعاني: ويدخل في هذا كُلُّ مَن اختار اللَّهْو والغناء والمزامير والمعازف على القرآن وإن كان اللفظ ورد بالاشتراء؛ لأن هذا اللفظ يُذكَر في الاستبدال والاختيار كثيرًا.اهـ



١٨- بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّغَنِّي بِالقُرْآن

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بِالقُرْآنِ**»[١]، وَفِي رِوَايَةٍ: «**لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ بِالقُرْآنِ يَجْهَرُ بِه**»، أخرَجَاه[٢]. وَعَنْ أَبِي لُبَابَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالقُرْآنِ**»، رواهُ أَبُو دَاوُد[٣] بِسَنَدٍ جيِّد.

---

(١) **متفق عليه**: البخاري: (٧٤٨٢)، مسلم: (٧٩٢).

(٢) البخاري: (٧٥٤٤)، مسلم: (٧٩٢).

(٣) رواه أبو داود برقم: (١٤٧١)، وهو في "البخاري": (٧٥٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قوله: (**مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ...**): قال العلامة العثيمين ﷺ في كتابه "شرح رياض الصالحين" (٤/ ٦٦١): (**أَذِنَ**): قال العلماء: استَمَع، يعني: ما استمع الله لشيء مِن الأشياء التي يَسمَعُها ﷻ مثل استماعه لنبيٍّ حسَنِ الصوت يتغنَّى بالقرآن يَجْهَر به، يعني: نبي، والأنبياء هم أفضل طبقات الخلق، (**يَتَغَنَّى بِالقُرْآنِ**): يعني: يقرَؤُه بصوتٍ حَسَن، (**يَجْهَرُ بِهِ**): يعني: يرفع صوته به، فهذا هو الذي يأذن الله له، أي: يستمع له ﷻ؛ لأنه يحب الصوت الحسَن بالقرآن والأداء الحسن.اهـ

قال أبو حاتم -كما في "التعليقات الحسان" (٢/ ١٦٢)-: قوله ﷺ: (**يَتَغَنَّى بِالقُرْآنِ**): يريد: يتحزَّن به، وليس هذا من الغُنْيَة، ولو كان ذلك من الغنية لقال: (يَتَغَانَى بِهِ)، ولم يقل: (يتغنَّى به)، وليس التحزُّن بالقرآن نقاءُ الجِرْم[١] وطِيب الصوت وطاعة اللهوات بأنواع النَّغم بوفاق الوقاع، ولكن التحزُّن بالقرآن هو أن يقارنه شيئان: الأسَف، والتلهُّف، الأسف على ما وقع من التقصير، والتَّلهُّف على ما يؤمل من التوقير، فإذا تألَّم القلب وتوجَّع وتحزَّن الصوت ورجَعَ بدر الجفن بالدموع والقلب باللُّموع فحينئذ يستلذُّ المتهجِّد بالمناجاة، ويفِرُّ من الخلق إلى وكر الخلوات؛ رجاءَ غفران السالف من الذنوب والتجاوز عن الجنايات والعيوب، فنسأل الله التوفيق له.اهـ

وهذا يكون خاصًّا بالقرآن، أمَّا ما يفعله البَعْض من التغنِّي بالدعاء فهذا ليس مِن هَدْيِه ﷺ ولا مِن أصحَابِه رضوان الله عليهم، ولو كان خيرًا لسَبقُونا إليه.

وَاللهُ ﷻ أَعْلَمُ. وصلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَصَحْبِه.

الصلاة على النبيِّ ﷺ مِنْ أجَلِّ وأفْضَلِ العِبَادَات، بل هي سببٌ من أسباب تفريج الهموم والكربات وغفران الذنوب، فقد جاء عند "الترمذي"[٢] من حَدِيث

(١) الجِرْم: بكسْرٍ فسكون، يقال: (جرْمُ الصَّوت)، أي: جهارته. "معجم الوسيط" (١/ ١١٨).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي برقم: (٢٤٥٧)، وصححه الألباني في "الصحيحة" برقم: (٩٥٤).

أُبَيِّ بن كعب ﷺ، وفيه: قلتُ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: **«مَا شِئْتَ»**، قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ: **«مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»**، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: **«مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»**، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: **«مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»**، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا، قَالَ: **«إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ»**.

بل بمجرَّد أن تصلي عليه مرةً واحدة يصلِّي الله عليك بها عشرًا، ويمحو عنك عشر سيئات، ويرفع لك عشر درجات، فقد جاء عند "النسائي" من حديث أنس بن مالك ﷺ، أن النبيَّ ﷺ قال: **«مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ»**[(١)].

وأما صِيَغ الصلاة عليه: فقد جاء عند "مسلم"[(٢)] مِن حديث أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ، قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ الله ﷺ ونَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ﷺ، فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ ﷺ: أَمَرَنَا اللهُ -تَعَالَى- أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الله، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«قُولُوا: اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»**.

وجاء عند "أبي داود"[(٣)] من حديث أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ، أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: **«قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَأَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَأَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»**.

---

(١) **صحيح:** صححه الألباني في "صحيح وضعيف سنن النسائي" برقم: (١٢٩٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٤٠٥).

(٣) **صحيح:** رواه أبو داود، وصححه الألباني في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" برقم: (٩٧٩).

هاتان الصيغتان هما اللتان ثبتَتَا عن النبي ﷺ، ولك أن تختصر، أمَّا ما يزيده بعضهم من قولهم: (حبيبنا وسيِّدنا ونور أعيُنِنا) ونحو ذلك فلم يَثبُت عنه عليه الصلاة والسلام، ولم يُنقَل عن أحد من الصحابة والتابعين من بعده، بل نهى عليه الصلاة والسلام عن ذلك.

وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمد وعلى آلِه وصحبه وسلَّم.



المحتويات